النجف دراسة في طبيعة المجتمع وأصول السكان

أ.م.د. عبد الستار شنين الجنابي
جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

ملخص البحث

تُعد النجف الأشرف مدينة تاريخية ودينية مقدسة ، لها مكانتها الخاصة ليس في العراق فحسب و إنما في الوطن العربي والعالم الإسلامي . ومدينة بهذه المكانة المحلية ، والإقليمية ، والعالمية المتميزة ، كان يُفترض ان تأخذ مكانها الحقيقي في الدراسات التاريخية الاجتماعية ، خصوصا وان المتغيرات الاجتماعية والسكانية فيها كبيرة واضحة للباحث المدقق . وبرغم من ذلك لم تنال مدينة النجف حقها الكافي في الدراسة لهذه الجوانب المهمة من تاريخها . لذلك ظلت الكثير من أحداثها الاجتماعية يكتنفها الغموض و يجهلها الكثيرون . في وقت كانت النجف تمارس فيه دوراً اجتماعياً مؤثراً . فلم يكن بالإمكان إغفالها او تناسيها .

+ان السبب في ذلك يرجع في تقديرنا الى قلة الباحثين الراغبين في الخوض في هذا المضمار . بسبب ندرة المعلومات التي تتعلق بالتاريخ الاجتماعي , و المصادر المتوافرة . سواء أكانت الرسمية منها . والتي سبق ان كانت حبيسة الأقبية و المخازن في بعض دوائر الدولة الرسمية , التي يصعب الوصول اليها بسبب سريتها , خصوصاً ما كان موجوداً منها في أرشيف وزارة الداخلية . والتي انتقلت من الحبس الدائم الى الحرق او التلف او الضياع . كما ان ما دون لدى المؤرخين , والباحثين , والمهتمين بتاريخ المدينة من المثقفين و الأدباء . يكاد لا يتجاوز الجانب السياسي والأدبي إلا في القليل من جزئياته . كما كان لقلة الاهتمام بالعلاقات الاجتماعية , و دورها المؤثر في تحريك الأحداث و الحياة العامة للمدينة , فضلاً عن حساسية الموضوع . و صعوبة الخوض فيه بشكل جدّي . سبباً آخر لابتعاد الباحثين عن البحث في التاريخ الاجتماعي للنجف .

تناول البحث دراسة لمجتمع النجف . و خصائص أفراده , من خلال بحث البيئة الاجتماعية النجفية . وأصول السكان . و شخصية الفرد , و طبيعة المجتمع . و ما تميز به من فردية ظاهرة نتج عنها تعدد الزعامات و الولاءات , مما أدى الى إذكاء الصراع الداخلي و التغالب الاجتماعي على خلفيات متعددة . كالصراع بين القديم والجديد . والصراع بين المحلات والأسر والبيوت النجفية , و الصراع بين الاثنيات والجنسيات , والصراع السياسي على خلفيات اجتماعية . فضلا عن الصراع على خلفيات أخرى . و على الرغم من النتائج السلبية التي قد ينتج عنها صراع الأفراد و الجماعات . إلا انه يبقى للصراع الاجتماعي و الفكري آثاره الايجابية , إذ انه يحرك الأوضاع الراكدة , و يولد وعياً جديداً يدفع بالمجتمع الى التغيّر و التقدم .

اعتمد البحث على الوثائق العراقية الرسمية غير المنشورة بالدرجة الأولى . و هي على جانب كبير من الأهمية . إذ كانت تتضمن معلومات سرية تتعلق بمختلف تفاصيل جوانب الحياة العامة في المدينة . و متابعات دقيقة لما يجري فيها من أنشطة سياسية و اقتصادية و فعاليات اجتماعية . كما تضمنت إحصاءات عن مختلف الأمور و الأنشطة و الخدمات . كما قدمت لنا هذه الوثائق تحليلات مختلفة عن شخصية الفرد النجفي , و طبيعة المجتمع , و ما يسود فيه من عادات وتقاليد و ممارسات . وهي بذلك رسمت لنا صورة واضحة عن الحياة الاجتماعية في المدينة .

ان هدف البحث . هو تقديم دراسة لطبيعة المجتمع النجفي وأصول السكان فيه . ضمن سياق أحداث و مواقف التاريخ الاجتماعي للمدينة . فضلا عن تحليل لمقومات شخصية الفرد . بموجب ما استطعت الاطلاع عليه من خلال الوثائق والمصادر . وما سمحت به طبيعة الموضوع .

النجف . . النشوء والتوسع :

وردت في كتب التاريخ والجغرافية واللغة والأدب لموضع ظهر الكوفة الذي يمتد ما بين كري سعده حتى طار (١) المنخفض الذي يقع الى القرب منه عدة أسماء ، منها ما كان يطلق على جزءٍ من المنطقة ، ومنها ما كان يمثل المنطقة كليةً ، ومن هذه الأسماء الطور، والظهر، والربوة ، واللسان ، وبانقيا ، والجودي ، والغري ، والمشهد ، ثم النجف . وقد غابت بعض هذه الأسماء عن الاستخدام ، في حين إن بعضها الآخر قل استخدامه ، ولم يستمر منها سوى اسم النجف .

والنَجَف ، في اللغة : مكان لا يعلوه الماء ، مستطيل منقاد ، يقول ابن الاعرابي : النجفة : المسناة . ويقول الأزهري : النجفة : مسناة بظهر الكوفة تمنع ماء السيل ان يعلو مقابرها ومنازلها (٢) . وكذلك هي التل الناتيء المشرف على الشيء (٣) . والنجف لفظ عربي وجمعه نجاف: وهي الأرض المشرفة على ما حولها .

وعليه فإن اسم النجف يعني أرضاً عالية معلومة تشبه المسناة ، تصد الماء عما جاورها ويحيط بها الماء من جهاتها ، لكنه لا يعلوها ، ويغلب على شكلها الاستطالة .

والنجف مدينة مقدسة تقع في أقصى الجنوب الغربي للقسم الشمالي من السهل الرسوبي العراقي ، على طرف الصحراء (٤) ، الى الغرب من مدينة الكوفة ونهر الفرات بمسافة (٨) كيلومتر ، جنوبي غربي بغداد على بعد (١٦٠) كيلومتر . ترتفع فوق مستوى سطح البحر بمقدار (٥٨) متر ، وعن مستوى نهر الفرات بمقدار (٣٦) مترا (٥) . وتشرف حافتها الغربية على منخفض بحر النجف (٦) .

لم يتفق المؤرخون والباحثون والكتاب في موضوع نشأة مدينة النجف ، وفي تقديرنا ان النجف لم تكن موجودة قبل ظهور قبر الإمام علي (عليه السلام) ، بل كان موضعها جزءاً من المنطقة المسماة بظهر الكوفة ، التي لا نرى فيها غير ارض مبسوطة تطل على بساتين الفرات من ناحية ، وعلى الصحراء المفتوحة من ناحية أخرى ، وهي لا تختلف عما جاورها من رمال الصحراء . وقد صدق الشاعر الكبير احمد الصافي النجفي حينما أشار الى فقر الموضع في قوله مخاطباً مدينة النجف :

صدق الذي سّماك في وادي طوى
يا دار بل وادي طـــــوى وعراءُ
جلست على الأنهار بلدان الورى
فعلام أنتِ جلست في الصـــحراء .

لذلك فأني أؤكد على ارتباط نشأة مدينة النجف وتطورها بضريح الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، خصوصاً إذا علمنا ان الموضع خالٍ من الماء ، بعيداً عنه ، ولا يمتلك أيَّ من مقومات الجذب السكّاني .

أصبحت المنطقة ضمن الأراضي التي حررها العرب المسلمون . وفي سنة (١٧هـ/ ٦٣٨م) مصرت الكوفة التي استمرت تمثل مركزاً مهماً في الدولة العربية الإسلامية حتى سنة (٣٦هـ/ ٦٥٦م) حين قدم اليها أمير المؤمنين الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فأصبحت عاصمة للخلافة ، ومقراً لها ، حتى استشهاده ليلة الأحد (٢١ رمضان ٤٠هـ/ ٦٦٠م) (٧) . و دفن بوصية منه حيث هو الآن .

و يمكن القول ان السكن حول مرقد الإمام علي (عليه السلام) بصورة يعتد بها للحد الذي يمكن اعتبار ان النجف قد أصبحت ضاحية صغيرة ، كان في أواخر القرن الثالث الهجري ، وبشكل أدق منذ عهد المعتضد العباسي (٢٧٩-٢٨٩هـ / ٨٩٢- ٩٠٢ م) . إذ أصبح موضوع زيارة المرقد والسكن حوله مشروعاً آمناً ومسموحاً به بشكل علني من دون أي تدخل او قيود .

ومع توقيع معاهدة (أروضروم) الأولى في (٢٨ تموز ١٨٢٣) بين الدولة العثمانية و الصفوية ، تم تنظيم قضايا الحدود ، وضرائب التجار ، ومعاملة الزوار الذين يقصدون العتبات المقدسة ، فأدى ذلك الى كثرة ورود الزوار والمهاجرين الإيرانيين ، وتوسعت حركة نقل الجنائز الى النجف من خارج العراق ، وشهدت المدينة من جراء ذلك مرحلة جديدة من الازدهار ، فشيدت فيها الكثير من المدارس الدينية ، وصار كل طالب علم في إيران يطمح في الهجرة الى النجف لكي يكمل دروسه العالية فيها .

ومن الجدير بالذكر هنا ان هناك عوامل أخرى ساعدت على ازدهار مدينة النجف خلال تلك الفترة ، كان أهمها شق قناة الهندية سنة (١٧٩٣) التي أعطت دفعة قوية لوضع النجف الاقتصادي والاجتماعي ، مما عزز من مكانة المجتهدين فيها . ومع انتهاء النصف الأول من القرن التاسع عشر أصبحت النجف المركز الأكاديمي الأول للشيعة في العالم ، بعد حسم الصراع الأصولي الأخباري (٨) لصالح المدرسة الأصولية في النجف على حساب كربلاء .

اما النجف في بداية القرن العشرين بعد انحسار النفوذ العثماني ورحيل الأتراك ، وقدوم البريطانيين ، تركت النجف تحت إدارة شيوخها المحليين حتى بداية سنة (١٩١٨) حينما تم إرسال حامية عسكرية بريطانية ليتم إدارتها بشكل مباشر من قبل الإدارة المحتلة (٩) . وقد تمتعت النجف خلال هذه الفترة بقسط كبير من الحرية وسعة في النشاط الاقتصادي ، حتى أصبحت محطة تجارية توزع منها البضائع للكثير من مناطق العراق الأخرى ، فكثرت فيها الأموال لدرجة كبيرة . و بلغ نفوذ رجال الدين فيها درجة من القوة والتأثير والسعة انه استطاع ان يؤثر في توجيه الأحداث السياسية الكبرى في العراق للفترة (١٩٢٠- ١٩٢٣) . لكن بعد هجرة بعض العلماء الى إيران في (٢٧ حزيران ١٩٢٣) احتجاجاً على نفي الحكومة للشيخ مهدي الخالصي (١٠) ، انكفأ وضع النجف بشكل واضح واتجه نحو الركود فانعكس ذلك على الأوضاع الاجتماعية في المدينة ونشاطها الاقتصادي .

ومع تأسيس الدولة المركزية في كل من العراق وإيران ، التقت سياسة الحكومة العراقية مع سياسة الحكومة الإيرانية ، من دون اتفاق ، على الإسهام في تدهور أوضاع المدينة وخصوصاً في جانبها الاقتصادي . من خلال الحد من اعداد الزائرين القادمين اليها ، والجنائز المنقولة للدفن فيها ، ووصول أموال الحقوق الشرعية والتبرعات لها . في وقت كانت هذه الأنشطة عناصر أساسية ومهمة في اقتصاد النجف ، لا يمكن

الاستغناء عنها ، لعدم إمكانية خلق بدائل ناجحة لها . ونتج عن ذلك ضعف في أداء المؤسسة الدينية ، وانحسار تأثيراتها وأنشطتها الاجتماعية والسياسية ، مما أثر في أهمية موقع النجف كمركز للقيادة والتعليم الديني . وقد ترافق ذلك مع بداية صعود مدينة قم الإيرانية منافساً جديداً لقيادة النجف وزعامتها الدينية .

عليه يمكن لنا ان نؤكد على ان العامل الديني كان هو العامل الأساس في نشأة النجف وتطورها ، وقد استمر تأثيره حتى اليوم بنسب متفاوتة تتأثر بمجموعه عوامل داخلية وخارجية تشترك في تكوين موقف ينعكس صداه في التأثير على أوضاع النجف الداخلية صعوداً او هبوطاً ، إلا انه مع حلول القرن العشرين بدأت تأثيرات العامل الاقتصادي وفعالياته تظهر واضحة في توجيه المدينة ، خصوصاً في عقود الأربعينيات والخمسينيات والستينيات ، التي شهدت انحساراً في الإيرادات الدينية ، خصوصاً بعد بعد وفاة السيد أبو الحسن الأصفهاني(١١) في النجف سنة (١٩٤٦) تولي السيد حسين البروجردي المرجعية العامة للشيعة و انتقال مقرها الى مدينة قم الإيرانية ، فأدى ذلك الى التوجه نحو النشاط الاقتصادي خصوصاً في جانبيه التجاري والصناعي لتجاوز الخلل الحاصل .

ان السؤال الذي يطرح نفسه بقوة هنا هو : كيف استطاعت مدينة النجف من الصمود والاستمرار خلال أكثر من ألف عام متحدية المنطق الجغرافي في النشوء والاستمرار وسلبيات الموضع والموقع و مشكلة المياه وتوافرها ؟ ان الجواب في تقديرنا يكمن في العامل الديني الذي أعطى النجف الحيوية الكافية والقوة الدافعة للاستمرار من خلال خلق شبكة واسعة من العلاقات الدينية والعلمية التي نتج عنها قيام شبكة من العلاقات الاقتصادية ساعدت النجف في التغلب على صعوبات الجغرافية في قواعد الموضع والموقع .

ان ارتباط نشأة مدينة النجف بضريح الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، جعل منها إنموذج للمدينة الدينية ، التي ظهرت ونمت تحت تأثير الوظيفة الدينية . والنجف التي بدأت نشأتها كنواة صغيرة حول الضريح المقدس ، توسعت تدريجيا مع ازدياد عدد الساكنين والمجاورين والزائرين . ومن توسع النواة ونشوء أول سوق للمدينة وتولد النشاط التجاري والحرفي، نمت وتوسعت أوجه النشاط الأخرى التي ارتبطت بشكل مباشر بالجانب الديني كالزيارة والدفن . وكنتيجة حتمية للوظيفة الدينية ظهر النشاط العلمي كعامل جديد ومؤثر في ازدياد عدد المهاجرين الجدد الى النجف ، مما أدى الى سرعة توسع المدينة وزيادة عدد السكان . ومع نشوء الحوزة الدينية وتكامل مدرسة النجف العلمية ظهرت الوظيفة الثقافية للمدينة التي أعطتها بعداً جديداً ومؤثراً.

مع تطور الوظيفة الدينية ظهرت مؤلفات كثيرة تم من خلالها التأكيد على أهمية أرض النجف، وأفضلية السكن فيها ، من خلال مجاورة الإمام علي (عليه السلام) في الحياة ، والدفن الى جواره ونيل الشفاعة من الله سبحانه تعالى عنده بعد الممات(١٢) . كما كان للاجتهاد الديني أثره الكبير في ازدياد مكانة النجف الدينية ومركزيتها بوصفها مركز التقليد والاجتهاد الديني للشيعة من المسلمين ، فسيطرت على وجدان وقلوب الملايين من المسلمين ، فظهرت مناسبات دينية ، ومواسم للزيارة ، وشعائر وطقوس عزائية لم تكن موجودة .

ومن خلال هذا كله استطاعت النجف ان تجتذب سكاناً جدد وبشكل مستمر على طول مراحل تاريخها ، وتكون مدينة مقدسة ، ومقراً للحوزة الدينية ، ومركزاً للاجتهاد والعلم، وموطناً للثقافة والأدب ، وسوقاً رائجاً للمال والتجارة والحِرف . وظهرت فيها طبقة كبيرة من رجال الدين لا تقل عن عدة آلاف ، فيهم الكثير من المبلغين والقراء الذين كانوا ينتشرون في مختلف مناطق العراق والعالم الإسلامي التي ينتشر فيها الشيعة من المسلمين ، فيقومون بالوعظ والإرشاد وإحياء المناسبات الدينية خصوصاً في أشهر عاشوراء وصفر ورمضان ، وبعض المناسبات الأخرى ، فيؤلفون أداة إعلامية متحركة ومؤثرة في الترويج لوظيفة النجف الدينية ، وفي تعزيز الاعتقادات التي تدعم قدسية المدينة ، وفضل الزيارة لها ، والدفن فيها .

وكما ساعدت عملية الدفن فيها وزيادة أعداد الجنائز المنقولة لها في خلق حلقات واسعة من فرص العمل للكثير من العوائل والأفراد ممن اختص في تقديم خدمات الدفن بدءاً من استقبال الجنائز والى ما بعد الدفن بسنوات طويلة . و هذا كله أسهم مساهمة فعالة في مركزية النجف وتأكيد أهميتها الدينية وتطوير اقتصادياتها بالشكل الذي كان له الأثر البالغ في استمرار المدينة وزيادة الهجرة اليها .

الهجرة للنجف :

لم يكن للعامل الاجتماعي القبلي الذي تميزت به الكثير من المدن الإسلامية كالبصرة والكوفة و واسط ، أثره في تركيب المحلات السكنية في النجف بحسب القبائل او العشائر ، على الرغم من الطابع العربي والبدوي للمدينة . وفي رأينا ان ذلك يعود الى ان الهجرة الى النجف والسكن فيها لم يكن على شكل جماعات مهاجرة كبيرة ، يمكن ان تؤثر بشكل واضح في تغيير البنية الاجتماعية للمدينة . بل ان الهجرات اليها كانت اما بشكل فردي محض ، او كانت في أحسن الأحوال مع أسرة صغيرة او مجموعة أسر تكون نواة لتأسيس أسرة كبيرة بعد عدة أجيال . وكان هذا احد الأسباب المهمة التي جعلت الأجيال اللاحقة من هؤلاء المهاجرين ينتسبون الى اسم الجد الكبير ، او المهاجر الأقدم في الأسرة بدلاً من الانتساب للعشيرة او القبيلة التي عاشوا بعيدين عنها ، منفصلين عن مؤثراتها .

اما لماذا كانت الهجرة لمدينة النجف فردية ولم تكن بشكل جماعات كبيرة كما حصلت في بعض من الهجرات باتجاه الكثير من المدن العربية . ان ذلك يعود في تقديرنا ، الى ان النجف لم تكن ذلك الموضع الذي يغري بالهجرة الجماعية إليه ، فهو بيئة جافة قاحلة خالية من الماء وبعيدة عنه ، يفتقر

الى الكثير من المقومات الحياتية المطلوبة للجماعات الكبيرة . لذلك لم تكن هدفاً لسكنى العشائر او القبائل كوحدة واحدة . بل كانت الهجرة تتم تحت دوافع دينية أو علمية أو كليهما ، و هي حاجات تكون في الغالب فردية . وهذا هو الذي حصل على امتداد تاريخ المدينة .

ان هذه الظاهرة أدت الى بروز ظاهرة جديدة في المجتمع النجفي ، فمع تكوّن المحلات وتعددها ، وفي ظل غياب الانتماء والتكتل العشائري او القبلي ، برزت ظاهرة التكتل في الانتماء الى المحلة السكنية ، لتحقيق حالة من الأمن والاطمئنان في ظل غياب او بعد العشيرة والقبيلة وفقدان حمايتها . وقد نتج عن ذلك تكوين جماعتي الزكرت والشمرت (١٣) ، التي عززت ظاهرة الانتماء الى المحلة ، حتى تحولت الى عصبية جديدة ، أدت الى زيادة الصراع الداخلي في المدينة بشكل ملحوظ ، وصولاً الى حالة الفتنة ، وللحد الذي ألزم السلطات المركزية في بعض الأحيان الى التدخل العسكري لإنهاء ما يجري من صراع .

انقسمت مدينة النجف القديمة داخل السور الى أربع محلات (أطراف) رئيسة هي:-

محلة المشراق : وتقع في الشمال الشرقي للمدينة .

محلة البراق : وتقع في الجنوب الشرقي للمدينة .

محلة العمارة : وتقع في الشمال الغربي وغرب المدينة .

محلة الحويش : في الجنوب الغربي من المدينة .

ولم تكن هذه المحلات محددة او منظمة بشكل متميز قبل سنة (١٢٨٢هـ / ١٨٦٢م) ، حيث تم في تلك السنة التحديد الأول لها وبشكل رسمي من السلطات العثمانية ، فضبطت حدود كل محلة وتم تعيين مختار خاص بكل منها وكان الغرض من ذلك هو إحصاء النفوس وبيان المشمولين منهم بالتجنيد الإجباري (١٤) .

ومع هذا التحديد وتعيين المخاتير استقلت كل محلة بشؤونها و اتضحت حدودها وعزز ذلك الشعور بالعصبية لها . وكانت كل محلة منها تتميز بأسماء مجموعة أعلام او شخصيات مؤثرة وبارزة في مجال علوم الدين ، او الشعر والأدب ، او التجارة والمال ، او الزعامة والقوة ، وكان لتجمع أكثر من بيت لعائلة واحدة في زقاق واحد ، او سكن إحدى الشخصيات البارزة في ذلك الزقاق ، يكون مدعاة لان يسمى ذلك الزقاق باسم تلك العائلة او ذلك العَلَمْ ، مثل زقاق او (عكد) بيت الحبوبي ، ال الصافي ، ال الجواهري ، البو كلل ، آل الشمرتي، آل الزكرتي... .

وفي هذه المحلات نشأت بيوتات النجف وأسرها القديمة واللاحقة . والنجفيون يطلقون كلمة (بيت) على مجموعة الأسر التي تنتمي للأب الكبير، وقد نشأ في هذه المحلات ما يزيد على مئة بيت له شهرته العلمية او الأدبية (١٥) . وقد أحصى الشيخ محمد السماوي في أرجوزته سبعين بيت منها حيث يقول :

وفي الغري من بيوت العلـــم
والأسر التي زهت كالنجم
فمن مضى في سالف الزمـان
او كان باقـياً الى ذا الآن
فالأولون جاوروا بالكوفـــة
اذ الغري أرضها مخوفـة
والآخرون سكنوا أرض النجف
اذ لم يحاذر احد ولم يـخف(١٦)

وقد ساعدت جملة عوامل على زيادة الهجرة الى النجف وخصوصا الهجرة الأجنبية ، فمع قيام الدولة الصفوية في إيران سنة (١٥٠١) وتشييع الإيرانيين أخذت عملية ا الهجرة الى النجف والدفن فيها و نقل الجنائز لها تتطور بشكل ظاهر (١٧). حتى أصبحت ظاهرة عامة مع بداية القرن الثامن عشر . ويرجع ذلك في تقديرنا الى جملة أسباب ، يبرز في مقدمتها ، عودة الحوزة العلمية الى النجف من جديد لتستقر فيها ، وهجرة اعداد كبيرة من العلماء الفرس الى النجف بعد الاحتلال الأفغاني لإيران ، وتوقيع معاهدة (أروضروم) الأولى في (٢٨ تموز ١٨٢٣) بين الدولة العثمانية و الصفوية مما جعل الأوضاع أكثر استقرار بين الدولتين ، فأدى ذلك الى كثرة ورود الزوار والمهاجرين الإيرانيين ، وتوسعت حركة نقل الجنائز الى النجف من خارج العراق ، فضلاً عن ظهور وانتشار الكتابات والمؤلفات التي تشير الى فضل مجاورة الإمام علي بن ابي طالب(عليه السلام) في الحياة ، والدفن الى جواره لنيل شفاعته بعد الممات. ومع تشيّع القسم الأكبر من العشائر العراقية في بداية القرن التاسع عشر تطورت عملية الهجرة الى النجف ، ومعها ازداد عدد الجنائز الداخلية المنقولة اليها بشكل واسع ، بعد ان أصبح هدف كل فرد من المسلمين الشيعة ان يدفن الى جوار الإمام علي (عليه السلام) ليضمن حمايته من عذاب القبر وينال شفاعته عند الله سبحانه وتعالى يوم يقوم الحساب (١٨) . و قد أسهم ذلك في تطوير مركز النجف الاقتصادي و دورها الاجتماعي في القيادة و التوجيه .

أصول الســكان والمهاجرين :

اشتهر عن النجف ان سكانها ينتمون في الأصل الى عشائر العراق العربية ، فضلا عن بعض عشائر الحجاز والجزيرة العربية . وهم حينما نزلوا ارض النجف بعد العمارة الأولى للقبر الشريف ، قد نزلوا ارض عذراء غير مأهولة بالسكان فكانوا هم العنصر المؤسس والجنس الأول في تكوين المدينة ، كما سبق ان أسسوا البصرة والكوفة وواسط . ومع تقادم الزمن واستمرار الأجيال أسس هؤلاء المهاجرون أسراً محلية تنتمي الى موضع السكن الجديد ، او الى ما اشتهر عنها من علم او حرفة او صنعه أصبحت هي الشهرة المميزة لهذه الأسر بعد ان ضعفت ثم انقطعت صلة هؤلاء بأصولهم القبلية والعشائرية .

كان الدافع الأساسي للهجرة هو الدافع الديني أولاً ، ثم الدافع العلمي المرتبط بالدين بعد ان تأسست مدرسة النجف العلمية مع بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري . ومع ازدهار موقع النجف الاقتصادي بعد منتصف القرن التاسع عشر ، أصبح دافع العمل والتجارة عاملاً مضافاً للهجرة .

و في النجف فضلاً عن السكان العرب ، توجد جالية أجنبية

- انظر الجدول رقم (١) - اختلفت دوافع هجرتها باختلاف القادمين وأهدافهم . وقد أشار الى ذلك تقرير استخباري بريطاني لسنة ١٩٤٣، حينما ذكر بان النسبة كبيرة من الأجانب في النجف هم اما من أصول عربية او استعربوا خلال إقامتهم في المدينة ، وان اللغة العربية هي لغة كل الطبقات . كما أشار التقرير الى ان النجفيين عموماً، خصوصا العرب منهم ، لديهم اعتزاز بأصالتهم ، واهتمام شديد بالسياسة العراقية (١٩) .

ويتضح طابع النجف العشائري العربي بشكل قوي من خلال ابرز الأحداث التي عاشتها المدينة . فمنذ أوائل القرن التاسع عشر كانت النجف واقعة تحت تأثير نفوذ كتلتين عربيتين هما الزكرت و الشمرت ، إذ تكررت الحوادث التي أظهرت مدى قوة هاتين المجموعتين العشائريتين وسطوتهما ، سواءً في الدفاع عن مدينة النجف ضد هجمات الوهابيين المتكررة عليها (٢٠) ، ام في مقاومة السلطات الحكومية العثمانية (٢١) التي كان آخرها طردهم من النجف بصورة نهائية في (٢٤ آيار ١٩١٥) (٢٢) .

اذ قُسمت السيطرة الفعلية في محلات النجف الأربعة بين أربعة من الشيوخ المحليين ، هم في الأصل زعامات الشمرت والزكرت ، وهم عطية ابو كلل زعيم محلة العمارة ، وسعد الشيخ راضي زعيم محلة المشراق ، وكاظم صبي زعيم محلة البراق ، ومهدي السيد سلمان زعيم محلة الحويش . وكذلك في مقاومة سلطات الاحتلال البريطاني التي بلغت ذروتها في (١٩ آذار ١٩١٨) حينما قتل حاكم النجف السياسي الكابتن مارشال (W. M. Marshall) . وعلى اثر ذلك قامت سلطات الاحتلال بحملة إجراءات أدت في محصلتها الى تقويض سلطة الزعماء المحاربين من جماعتي الشمرت والزكرت العشائريتين (٢٣) . وعلى الرغم من ان هذه الأحداث قد وجهت ضربة قوية للمجموعتين إلا انها لم تنه نفوذهما بشكل كلي و حاسم ، حيث سنلاحظ ذلك من خلال المصادمات التي جرت لاحقاً بين الطرفين المحليين . وقد أدى تحطيم سلطة الزعامات العشائرية من الزكرت و الشمرت الى إضعاف قوة النجف أولا ، وبروز دور القيادات الدينية حتى بداية (تموز ١٩٢٣) ثانياً .

لقد كان لنشاط هذه الجماعات المسلحة وما تحمله من قيم بدوية و عشائرية الأثر الكبير في المحافظة على الطابع العربي المميز لمدينة النجف ، والحد من تأثيرات الهجرة الأجنبية عليها . كما كان لدورهم الحربي وامتلاكهم للسلاح وقدرتهم على استخدامه دورٌ مهما في تكوين زعامات عربية عشائرية كانت لها الكلمة النافذة في مجتمع المحلة أولا ، ثم في مجتمع النجف ثانياً، مما عزز هوية النجف العربية وشدد على القيم العشائرية من نجدة ونخوة وكرم وحماية للجار، وفي الوقت نفسه كانت هناك عادات الثأر والانتقام وما يرافقها من سفك للدماء بسبب او من دون سبب .

كما كان لموقع النجف الذي يتوسط حافة السهل الرسوبي وحافة الصحراء اثرَ في تعزيز هوية النجف العربية . فالتأثيرات القوية لكل من عشائر الفرات الأوسط ، وعشائر البادية الغربية البدوية واضحة في المدينة ، سواء في الارتباطات والتبعية العشائرية ، ام في الأنشطة الاقتصادية والجوانب الاجتماعية . كان الأساس لظهور الأسر او البيوتات النجفية هي الهجرة الفردية ، إذ لم تسجل لنا المصادر التاريخية حدوث اية هجرات منظمة على شكل جماعات كبيرة ، يمكن ان تؤثر في البنية الاجتماعية للمدينة . فالهجرة كانت فردية ، وفي أحسن الأحوال مع أسرة صغيرة او بضعة اسر تشكل نواة لتأسيس أسرة تكبر وتتوسع مع تقادم الزمن وتعدد الأجيال . وكان ذلك احد الأسباب المهمة التي جعلت الأجيال اللاحقة من هؤلاء المهاجرين ينتسبون الى اسم الجد الكبير او المهاجر الأقدم في الأسرة ، او الى ما اشتهر عنه من علم ، او أدب ، او حرفة ، او صنعة ، او صفة من الصفات ، بدلا من الانتساب للعشيرة او القبيلة التي عاشوا بعيدين عنها ، منفصلين عن مؤثراتها .

فمن الأسر التي اشتهرت بما لديها من رفعة علمية ، أسرة آل كاشف الغطاء التي تنتسب الى جدها الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر بن يحيى الجناحي (١٧٤٣- ١٨١٣) المجتهد المعروف الذي صنف كتباً كثيرة كان منها كتاب (كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء) ، وكتاب (كشف الغطاء عن معائب المرزا محمد الأخباري عدو العلماء) الذي كان جزءاً من الصراع الفكري بين المدرسة الاصولية والأخبارية ، ومن أسماء هذه الكتب حصلت الشهرة ثم أصبحت لقبا للأجيال اللاحقة من أسرته حتى اليوم .

و اشتهرت أسرة آل الجواهري التي تنتسب الى جدها الأكبر الشيخ محمد حسن بن باقر بن عبد الرحيم (١٧٧٨- ١٨٤٨) الذي لقب بصاحب الجواهر نسبة الى كتابه المشهور (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام في مسائل الحلال و الحرام) .

اما الأسر التي انتسبت الى اسم جدها الأكبر او المهاجر الأقدم فيها فهي كثيرة ، منها على سبيل المثال لا الحصر أسرة آل كمال الدين ، وآل المظفر ، وآل محي الدين ، وآل فرج الله، ، وآل قسام ، وآل نظام الدولة ، والبو السيد سلمان ، وبيت مبارك ، وبيت رافع ، وبيت مطر ، وبيت نصار، وبيت لايذ ، وبيت مرزة ، وبيت شمسة ، وبيت شعبان ، وبيت شبر، وكثير غيرها . و كان لتأثيرات علاقات العمل والإنتاج بشتى مجالاتها ، والتي كانت تطغي على ما حولها من علاقات في مدينة تجارية مثل النجف ، اثر في انتساب الكثير من الأسر الى ما اشتهر عنها من صنعة او حرفة او عمل مارسته ، فغلب عليها وأصبح شهرة لها ثم لقبا لأجيالها ، ومن هذه الأسر بيت الاسكافي ، وبيت الحداد ، وبيت الصفار، وبيت ابو السبح ، وبيت ابو الريحة ، وبيت الشماع ، وبيت الصائغ ، وبيت الفحام ، وبيت الشكرجي ، وبيت الكيشوان ، وبيت المعمار ، وبيت الجصاص ، ... .

وانتسبت الكثير من الأسر الى المنطقة او المدينة التي هاجر جدها الكبير منها مثل آل العاملي(٢٤) ، و آل الفتوني (٢٥) ، و آل الجزائري (٢٦) ، و آل البغدادي ، و آل الحلي ... ، في حين كان للصفة الغالبة التي امتاز بها الجد الكبير والتي ميزته للحد

الذي أصبحت لقبا له ولأسرته من بعده مثل بيت محبوبة ، وبيت الكرباسي (٢٧) ، وبيت عجينة ، وبيت الحبوبي ، وبيت الشرقي . كما كان للشهرة الأدبية او ما ارتبط بها من نشاط او مهنة سببٌ آخر في شهرة بعض الأسر للحد الذي أصبح لقبا لها مثل : بيت النحوي ، وبيت البلاغي ، وبيت القاموسي ، وبيت الكتبي .

اما من لم ينتسب الى هذا او ذاك من ألقاب الأسماء والحِرف والمدن والعلم والأدب ، بقي محافظا على لقب قبيلته او عشيرة الأصلية او فروعها ، وهم في النجف كثيرون مثل بيت الاسدي ، والجنابي ، والجبوري ، و الشمري ، والكعبي ، والخفاجي ، و العنزي ، و التميمي ، و الوائلي ، و غيرهم ... (٢٨) .

وأخيرا لا بد من الإشارة الى ان اتخاذ لقب اسم الجد الأعلى في الأسرة او اسم المدينة او المهنة او أي صفة أخرى كلقب للأسرة ، جاء كنتيجة حتمية للكثير من الأسر المهاجرة من الأجانب ممن قرروا الإقامة الدائمة في النجف ، واختاروا البقاء والتفاعل مع المجتمع الجديد والانصهار فيه ، فولّدوا هويتهم الجديدة التي كان لابد منها في مجتمع مثل النجف ، بنيت قواعده الاجتماعية على أساس الانتماء او الولاء . ومثل هذه الأسر كثيرة في النجف .

لقد كان من آثار الهجرة الفردية ان أدت الى بروز ظاهرة جديدة في المجتمع النجفي ، ففي ظل غياب الانتماء والتكتل العشائري او القبلي الواسع في موضع السكن الجديد ، وتعدد الارتباطات ، برزت ظاهرة التكتل في الانتماء الى المحلة السكنية ، لتحقيق حالة من الأمن والاطمئنان في ظل غياب او بعد العشيرة والقبيلة وفقدان حمايتها . ومع تعدد المحلات في النجف تعددت الولاءات والانتماءات كل الى محلته أولا ، ثم الى المدينة ثانياً . وقد نتج عن ذلك تكوين جماعتي الزكرت والشمرت التي عززت ظاهرة الانتماء الى المحلة ، بل حولتها الى عصبيه قوية أدت الى ازدياد حالات الصراع الداخلي بين المحلات الأربعة في المدينة بشكل ملحوظ ، وفي الكثير من الأحيان وصلت حالة الصراع هذه الى مستوى الفتنة التي أدت الى الكثير من الأحداث الدموية المأساوية ، للحد الذي ألزم السلطات المركزية في بعض الأحيان الى التدخل العسكري لإنهاء ما يجري من صراع (٢٩) . و لم تمثل هذه الزعامات في الكثير من الأحداث والمواقف إلا ذاتها ومصالحها الخاصة ، لذلك كانت الكثير من التجاوزات على حقوق الأفراد او المجتمع تحصل وبمختلف الأشكال من دون ردع حاسم ، والسبب في ذلك هو قوة وسطوة الزعامات المحلية ، وضعف او عجز السلطات الحكومية عن اتخاذ التدابير الحاسمة . و قد أسهم في إدامة هذه الأوضاع حتى فترة متأخرة ، انتشار الجهل و انخفاض المستوى الثقافي العام للسكان ، ومحدودية التعليم الرسمي ، وضعف الوضع الأمني في المدينة .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كان للعامل الديني الذي هو في أساسه بناء أصولي ، أثره الواضح في التأثير على البنية الاجتماعية في المدينة ، إذ أثرت سُلطة النخب من رجال الدين في رسم وتحديد الأطر العامة للمواقف السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمدينة النجف اتجاه الأحداث المحلية ، والقطرية ، وحتى الإقليمية ، بالشكل الذي جعل مصير هذه المدينة يتداخل مع مصير هذه النخب الدينية سواء كانت عربية محلية ، ام من أصول إيرانية كما كانت في الغالب . وقد أظهرت لنا الأحداث التي جرت في النجف والفرات الأوسط على عهد وزارة علي جودت الأيوبي ، ووزارة جميل المدفعي الثالثة ، ووزارة ياسين الهاشمي الثانية للسنوات (١٩٣٤ - ١٩٣٥) ، والتي جرت في النجف خلال الفترة اللاحقة ، خصوصا خلال فترة حكم رئيس الجمهورية عبد الرحمن محمد عارف (٣٠) ، إمكانيات وحجم تأثير سلطة النُخب الاصولية في تحريك الحدث وإدارته من منطلق ديني اجتماعي ، وصولا الى نتائج سياسية واقتصادية يمكن لها ان تؤثر كليا في تحديد مسار مدينة النجف في جميع الاتجاهات أولا ، ومسار البلاد بشكل عام ثانياً ، على أساس مفهوم المذهب أولا ثم الدين ، من دون أي اعتبار لمفهوم الأمة او القومية .

وقد كان للعامل الديني والثقافي المتصل بالدين أثره الواضح في دفع النجف الى خط سكاني غريب ، سببه تجمع السكان من مختلف الجنسيات و الأصول واللغات . و كان له الدور الأول في إيصال النجف الى المرتبة الحجمية التي وصلت اليها ، وباتت المدينة القديمة ، حيث المرقد و أماكن الخدمات الدينية والثقافية تنوء بثقل سكاني لا يتناسب مع مساحتها وبنيتها ومجموع خدماتها ، لذلك عانت من اختناق السكن والخدمات .

وأخيرا كان للتنظيمات السياسية والفكرية والمهنية بمختلف اتجاهاتها الوطنية ، والقومية ، والاشتراكية ، التي سادت مبادؤها وأفكارها في عقود الأربعينات والخمسينات والستينات من القرن الماضي ، الأثر الواضح في التأثير على البنية الاجتماعية في مدينة النجف ، التي سبق ان ساد فيها التيار الاجتماعي المحافظ ، المتأثر بالتيار الأصولي المتشدد . اذ نرى ذلك واضحا من خلال الانتشار الواسع لمفاهيم القومية والاشتراكية والديمقراطية ، كبديل مطروح لمفهوم المذهب والدين او المحلة والعشيرة ، ونتيجة لذلك لم يعد التشيع او الإسلام الرابط الأساسي للمجتمع النجفي ، والدليل على ذلك ، سعة نشاط العناصر القومية والشيوعية في المدينة الى الحد الذي أصبحت فيه مظهرا من مظاهر الشارع النجفي اليومية أولا ، ومقدار حجم ردود الفعل والطاقات التي دفعت بها المؤسسة الدينية بكل أجنحتها للدفاع عن نفسها وأفكارها كمرجعية دينية وقيادة اجتماعية من جهة ، ولتفنيد الأفكار الشيوعية (٣١) والاشتراكية من جهة أخرى ، ثانياً (٣٢) .

و كان لتأسيس الدولة العراقية الحديثة وسعيها لتكوين مفهوم الأمة العراقية وترسيخه ، الذي كان يتعارض مع ما تمتعت به النجف من حرية وخصوصية ، بسبب طبيعة الدولة الأمة وسياسة نظامها الملكي المركزي وتأييد البريطانيين له . لذلك تم وضع حد للدور المهم والفعال الذي كانت تؤديه مدينة النجف كمركزاً لولاء الشيعة ومحوراً لهويتهم في

الدولة الجديدة . وانعكس ذلك على النمو الاقتصادي والنشاط الاجتماعي للمدينة ، فضلا عن تحجيم دورها في المشاركة السياسية .

وكان لظهور بغداد كعاصمة للدولة ، وكمركز للفرص الاقتصادية والرقي الاجتماعي ، أثره الكبير على وضع النجف. فقد أصبحت بغداد وليس النجف هي هدف المهاجرين من الشيعة . ومع التزايد الحاصل في اعداد المهاجرين الشيعة الى بغداد واندماجهم في المحيط الجديد بدت هويتهم الدينية و المذهبية اقل وضوحاً كما كانت في مناطق هجرتهم الأصلية . وقد انعكس ذلك على مدى ارتباطهم بالنجف وصلاتهم بالمجتهدين فيها ، مما اثر على موقع النجف الاجتماعي والروحي بين الشيعة العراقيين .

و اثر تراجع موقع النجف ازاء العاصمة ، التي أصبحت محط أنظار الشباب والطامحين في تحسين أوضاعهم الاقتصادية والرقي الاجتماعي ، في هجرة مجموعة كبيرة من أعلام النجف في مجال السياسة والعلم والشعر والأدب والتجارة ، رغبةً منهم في نيل فرصهم الحقيقية في العمل السياسي ، او في شغل الوظائف المرموقة ، او في الصحافة ، او التجارة ، بعد ان ضاقت بهم النجف وأوضاعها التي تتراجع يوم بعد يوم . ومن هؤلاء الأعلام ، الشيخ محمد رضا ومحمد باقر ومحمد جعفر الشبيبي، والشيخ علي الشرقي ،والشاعر محمد مهدي الجواهري ، و الشيخ علي ثامر ، وسعد صالح ، وعبد الرزاق محي الدين ، ومحمد الحبوبي ، وصادق كمونه ، وجعفر الخليلي ، وغيرهم كثيرين .

و في الوقت الذي خسرت فيه النجف الكثير من إعلامها البارزين لصالح العاصمة بغداد ، لم تستفد من المهاجرين اليها من أرياف المدن شيئاً ، بل ان الهجرة اليها أدت الى زيادة اعداد العاطلين عن العمل فيها ، وتريف أطرافها ، وتعزز الانتماء القبلي والعشائري ، في وقت كانت فيه الحاجة تشتد الى مظاهر التحضّر والتمدّن .

وفي الخلاصة ، يمكن لنا ان نخلص الى ان النجف كانت عربية النزعة و الإحساس ، عربية العادات والتقاليد ، تنتشر فيها مظاهر العروبة في صفات سكانها وممارساتهم الاجتماعية . وهي اقرب الى الطبيعة البدوية منها الى التحضر. فالعشائرية ، والنخوة ، وكرم الضيافة ، وحماية الجار ، والصراع ، والتغالب ، استمرت ظاهرة في السلوك الاجتماعي لسكان المدينة . وعلى الرغم من كثرة المهاجرين الأجانب فيها وسعيهم الدائم للتأثير عليها ، و طول فترة السيطرة الأجنبية ، فلا اللغة التركية ، ولا الفارسية ، وجدت لها سوقا او أذناً صاغية في النجف ، التي أصرت ان تحتفظ بلغتها العربية وأصالة هويتها وعاداتها و قيمها العشائرية .

شخصية الفرد وطبيعة المجتمع :

الشخصية بشكلها العام ما هي إلا مجموعة منظمة من الأفكار و السجايا والميول والعادات التي يتميز بها شخص ما من غيره. وهي في حقيقتها نتاج المجتمع الذي يعيش فيه الفرد حيث لابد من ان تكون شخصيته صورة مصغرة للمجتمع في حدود القالب الذي حددته الثقافة الاجتماعية للمجتمع المحلي . والدليل على ذلك ان النجف على كثرة ما قدم اليها من مهاجرين محليين وأجانب لم يستطيعوا ان يتحسسوا بالقيم السائدة في المحيط الجديد . لكن بمرور الزمن يتم الانصهار في المجتمع الجديد . واذا لم يتم انصهار القادم الجديد ، فان أولاده وأحفاده لابد من ان ينصهروا فيه بحيث لا يكادون يختلفون في تفكيرهم وعاداتهم عن اقرأنهم في المحلة التي يعيشون فيها .

ويمكن لنا ان نلاحظ ذلك بشكل واضح عند الأجانب الذين يقررون الإقامة في النجف للتبرك والمجاورة ، او لطلب العلم ، او العمل . فهؤلاء في بداية أمرهم بعيدون عن تفهم روح القيم العشائرية او قيم المحلة السائدة في محيطهم الجديد . فهم يتجنبون الاختلاط ما أمكنهم ذلك ويشكلون تجمعات خاصة بهم محاولين خلق كيان لهم ، حتى في المدارس الدينية فغالبا ما تتكتل أفراده وزمره في مدارس بعينها ولمدرسين بعينهم (٣٣) . لكن أبناءهم الذين ينشؤون في محيط المحلة والمدينة سيتأثرون به حتما . فهم يلعبون منذ طفولتهم مع رفاقهم من صبيان الزقاق والمحلة ، ويمارسون معهم القيم المحلية ، فتنغرس في نفوسهم قيم العصبية والولاء لمحلاتهم التي ينتمون اليها . فاذا كبروا وجدوا المجتمع يشجعهم على مواصلة الخضوع لتلك القيم واحترامها . ويذكر لنا الشيخ علي الشرقي بان رابطة المحلة والتعصب لها كانت تقود أطفال محلته الى محاربة أطفال المحلة المجاورة ، اذ تجري مبارزات طويلة بوساطة المقلاع تستغرق ساعات طويلة ينتج عنها إصابات كثيرة ، كان رأس الشيخ قد حمل بعضاً منها (٣٤) . وقد عاصر الكثيرون هذه (الحروب) التي استمرت حتى الستينيات من القرن الماضي .

وهنا لا يسعنا الا ان نؤيد ما جاء به عالم الاجتماع العراقي الأستاذ علي الوردي ، من ان الإنسان لا يفكر بعقله المجرد فقط . بل يفكر بعقل مجتمعه . فهو ينظر في الأمور، ويميز الحسن والقبيح منها بحسب ما يوحي اليه . أي ان تفكيره يجري في نطاق القوالب والخطوط التي صنعها المجتمع له (٣٥) . وفي مجتمع مثل مجتمع النجف الذي تميز بالانغلاق والعزلة ، وتسود فيه ثقافة اجتماعية واحدة ، يصعب على الفرد ان يفكر او يسلك سلوكا خلاف ما اعتاد عليه ونشأ فيه ، وان حصل ذلك فانه سيتهم بالتمرد على قيم مجتمعه (٣٦) . في وقت كان على النجف ان تتصف بالانفتاح بوصفها مركزا دينيا وسياحيا ومدينة تجارية مهمة .

والأفراد بشكل عام وان اختلفوا في جزئيات شخصيتهم ، فلابد من ان يكون هناك اتجاه عام فارق لسلوكهم يمكن ملاحظته ، بحيث يمكن اعتباره سلوكا مميزا عند شريحة معينة بذاتها ،

او لسكان منطقة او مدينة يشتهر عنهم ويكون صفة غالبة لديهم وعلامة فارقة فيهم لفترة قد تطول او تقصر بحسب ظرف المكان والزمان .

ان عملية تشكيل شخصية الفرد في مجتمع النجف في تقديرنا تتجاذبها ثلاث قيم مختلفة بشكل بيّن ، هي : قيم البداوة والعشيرة ، وقيم الدين والمذهب ، ثم قيم الحداثة والمدنية . ومن الصعب على أي مجتمع حديث ، ان لا يعاني ، من سيطرة قيم ثلاثة قوانين تتناقض في الكثير من جوانبها ودعواتها ، حيث يجد الفرد نفسه في مفترق طرق ، بين قيم مختلفة آمن بها مجتمعه . لذلك ليس غريبا ان نجد في مجتمع النجف من آمن بهذه القيم منفردة في بعض الأحيان ، ومجتمعه في أحيان كثيرة . فالفرد النجفي يمارس طقوس الدين والمذهب بالتزام واضح ودائم ، حتى أضحت النجف مركزا للكثير من المناسبات الدينية ، و هو لا يستطيع ان يتجاوز قيم العشيرة في الضيافة ، والنخوة ، ومنعة الجار، والفزع ، وطلب الثأر، والمشاركة في الدية . وفي خضم هذا وذاك تراه ينزع الى كل ما جاءت به الحداثة والمدنية من تعليم علماني ، وثقافة جديدة ، ومفاهيم ديمقراطية ، وقوانين ، وتنظيمات وأحزاب . وبين كل ما في هذه القيم من تقاطع وتضاد ترى الفرد النجفي يمارسها بكل قبول ، فهو في عاشوراء غارق في طقوسيته ، مجنداً نفسه ووقته وجهده لها ، داعيا الى ضرورة إحقاق الحق وإنصاف المظلوم . إلا انه حينما تطلبه قيم العشيرة لرد الاعتبار او طلب الثأر، تراه حاملاً سلاحه رامياً بكل القيم التي يفرضها الدين والقانون في العقوبة والقصاص ، فلا يستجيب إلا لعصبية الدم وثورة الغضب في لحظة الانفعال . فتراه يقاتل انتصاراً لعشيرته ، وانتصاراً لمحلته ، ثم انتصاراً لمدينته . وهو شديد التمجيد لقوته ، كثير التباهي بها ، متعصبا لأهله ومحلته ومدينته وعروبته ، كما يتعصب البدوي لقبيلته في الصحراء .

و كان لتعدد مراكز القوى والجهات المتنفذة في المدينة ، أثر في تشتت شخصية الفرد وتشكيل الثقافة الاجتماعية التي تطبع شخصيته بنمط معين من السلوك والتصرف . فقوة الدولة وسلطة القانون لها حضور واضح في النجف . و ان نفوذ رجال الدين ودورهم الروحي والاجتماعي ليس من السهل إغفاله او تجاوزه ، لان نفوذهم مازال مؤثرا وقويا في جانبه الاجتماعي على الأقل . اما سلطة ونفوذ الرؤساء والشيوخ في محلات المدينة ، فعلى الرغم من ان حدتها قد خفت ، فانها بقيت مؤثرة حتى عقد الخمسينات من القرن الماضي كقوة اجتماعية محركة في داخل المحلة والمدينة ، ثم أضحت رمزية بعد ذلك . اما الأحزاب والقوى السياسية بمختلف تياراتها واتجاهاتها ، فقد برزت كقوى مؤثرة جديدة استقطبت طيفاً واسعاً من عناصر المجتمع النجفي ، حتى أضحت أفكارها ومبادؤها تؤثر بشكل عميق في رسم ملامح الثقافة الاجتماعية لشريحة واسعة منهم ، وتؤثر بشكل واضح في توجيه وقيادة المجتمع المحلي ، للحد الذي جعل هذه القوى الجديدة تشكل خطرا لا يمكن تجاهله ، على وفق تصورات الإسلاميين ، في تشكيل شخصية الفرد النجفي وتوجهاته الفكرية والسلوكية .

وبين كل مراكز القوى والنفوذ هذه توزعت ولاءات النجفيين على الرغم من وحدة المذهب ، والتعصب للمدينة . وقد اثر ذلك في تقديرنا في رسم ملامح الشخصية النجفية ، خصوصا في النصف الثاني من القرن العشرين ، وجعلها تعيش حالة من الازدواج في القيم والسلوك . فليس غريبا ان نجد العديد من أبناء الآسر الدينية المعروفة ممن تربى تربية دينية محافظة ، منتميا الى الحزب الشيوعي العراقي ، بل ان بعضهم قد أصبح قياديا فيه على مستوى اللجنة المركزية او اللجان المحلية مثل حسين محمد الشبيبي (٣٧) . و محمد علي شبيب (٣٨) ، ومرتضى فرج الله (٣٩) ، وعبد الرزاق مطر، وعبد الحسين الجواهري (٤٠) وغيرهم .

وأخيرا لا بد من الإشارة الى ان سقوط الحكم الملكي وقيام ثورة (١٤تموز ١٩٥٨) ونسفها لمرتكزات البنية الاجتماعية القديمة وموازناتها القائمة ، قد اخل بالبنية الاجتماعية في النجف كما في العراق عموماً ، واثر بشكل واضح على فاعلية ونفوذ طبقة رجال الدين ، والرؤساء والشيوخ المحليين لصالح القوى السياسية والحزبية التي أصبحت المحرك الأساس لحركة المجتمع ونشاطه في شتى الميادين .

وتنقل لنا بعض تقارير محفوظات وزارة الداخلية الانطباعات الخاصة بالمسؤولين من موظفي الإدارة المحلية ممن عملوا متصرفين للواء كربلاء ، او قائمقامين لقضاء النجف ، عن السلوك العام عند النجفيين ، او السلوك الخاص لبعض الجماعات منهم ، خلال فترة عملهم في اللواء او القضاء . وهي وان كانت آراءٌ شخصية ، فانها لا تجانب الحقيقة ، بل هي في تقديرنا اقرب الى الحقيقة من غيرها ، والسبب في ذلك يعود الى انها كُتبت في تقارير سرية لا يطلع عليها الا أشخاص معدودون ، وهذا يعني انها لم تكتب ليطلع عليها الرأي العام ، لذلك هي لا تحمل أي قدر من المجاملة له ، ولا شيئا من آيات التمجيد او الثناء عليه . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان منظمي هذه التقارير او أصحاب هذه الآراء كان للكثير منهم خبرة طويلة واحتكاك مباشر مع أبناء المدينة و شخصياتها و مشاكلها . فمثلاً ان عباس عبد اللطيف البلداوي عمل حاكماً في النجف ثم متصرفا للواء كربلاء ، و ان جعفر حمندي عمل قائممقاماً في النجف ثم متصرفاً للواء كربلاء ، و ان شاكر حميد ، وسالم عبد الرزاق كانا كذلك ايضا ، في حين ان علي لطفي عمل في النجف قائممقاما بالوكالة ثم قائممقاما أصيلا لثلاث فترات مختلفة ، ثم ان بعضاً من هؤلاء المسؤولين لم يكونوا بعيدين عن النجف وأهلها كسلطان أمين كرماشه . لذلك كانت آراؤهم في الشخصية النجفية والمجتمع النجفي قريبة من الواقع بعيدة عن المجاملة والمحاباة ، ويمكن القول عنها انها آراء مهنية ، كان الغرض منها رسم صورة واقعية اقرب الى الحقيقية عن طبيعة المجتمع النجفي وسلوك الأفراد فيه ، سواء كانوا من الوجهاء والشخصيات المعروفة ام من عامة

الناس ، لمسؤولي الإدارة اللاحقين لكي يتمكنوا من التعامل بشكل سليم مع الطيف الواسع لعناصر المجتمع النجفي بمختلف ميوله واتجاهاته .

ففي سنة ١٩٣١ كتب متصرف لواء كربلاء جلال الدين بابان في تقرير سري له عن المجتمع النجفي التي قسمه الى ثلاث طبقات هي :

طبقة رجال الدين .

طبقة الملاكين .

طبقة العوام .

وذكر عن طبقة رجال الدين ، وقال : انهم كثيرون في النجف ، وان اغلبهم من الإيرانيين وفيهم الكثير من العلماء الا ان أكثرهم نفوذا وأوسعهم شهرة هو السيد ابو الحسن الأصفهاني ، وهو المُقلّد من الأكثرية وله الصوت الديني الأعلى . ثم المرزا حسين النائيني ، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، والشيخ جواد الجواهري ، والشيخ عبد الكريم الجزائري . وان لهم السيطرة على آراء العامة من الناس من خلال نفوذهم الروحي (٤١) .

اما الملاكون وهم أصحاب الأراضي والمزارع والبساتين والمسقفات ، فهم أكثر الناس اتصالا بالحكومة ، حيث تقتضي علاقاتهم ومصالحهم ذلك ، والبارزون منهم : سيد عباس الرفيعي كليدار الروضة الحيدرية ، وجعفر زادة عبد الرسول ال كاشف الغطاء ، وحسين النقيب ، والحاج عبد المحسن شلاش ، وسيد احمد الحبوبي ، وعبد الهادي الجبوري ، وعبد الحميد الحاج احمدون ، وسيد محمد جريو ، والحاج حسون الحلو ، وحسين الصراف ، ومحمد جواد عجينة ، وهؤلاء معدودون لا يشكلون إلا شريحة ضيقة واغلبهم يشتغلون بالتجارة والربح الذي يستوفونه من المبالغ التي يقرضونها الى أصحاب مزارع الشلب والشيوخ بطريقة المراباة او البيع على الأخضر ٤٢(٤٣) .

اما طبقة العامة فهي السواد الأعظم من المجتمع ، وهم أصحاب الحرف والصنائع والمهن على اختلاف أنواعها . وأشار التقرير الى ان هذه الطبقة لا دخل لها في الأحزاب والأمور السياسية ، وليس لها غايات ومقاصد خاصة ، بل ينقاد بعضهم أحيانا الى فئة من المتنفذين سواء كانوا رجال دين ، ام شيوخ محليين ، او متنفذين ، بحكم الانتماء ، او تحت دوافع شخصية او عاطفية ، غرضها الانتماء للجهة القوية والتخلص من الإضرار بأنفسهم او أموالهم . ورد التقرير السبب في ذلك الى عصبية المحلة والعشيرة التي ما زالت تؤثر في هؤلاء الناس ، والى غياب سلطة الحكومة الحازمة المستندة الى قوة القانون وحسن الإدارة والعدل بين الناس وعدم دعم أي طرف من الأطراف (٤٤) .

اما بقايا الزكرت والشمرت ، وصراع الكتل والمحلات في النجف ، فقد أشار التقرير الى ان الكتل الموجودة في محلة البراق وهم جماعة « البو راضي « (الشمرت) ، وفي محلة العمارة جماعة « عطية ابو كلل « (الزكرت) . وقال ان التكتل الأول يمتاز زعمائه بالعقلانية والهدوء ، وان أهدافهم لا تخرج عن المحافظة على شرف الزعامة ، وعلو الكلمة ، وصد تجاوزات الغير ، وهم يعملون في ظل الحكومة ولا يخرجون عن توصياتها . لذلك أوصى المتصرف بضرورة دعم هذه الجماعة و الإبقاء على هذا الوضع والاستمرار فيه لما فيه من المحافظة على امن المدينة وهدوئها . اما التكتل الثاني وهم جماعة (عطية ابو كلل) فإن انقيادها الى أمر الحكومة كان سهل المنال برعاية الشيخ عطية في أموره ، وغض النظر عن هفواته وعثراته الكلامية ، حيث انه من البسطاء تماما ، لكن ولده كردي كان متحركاً وجريئاً . وقد علق المتصرف بعدم أهمية ذلك نظراً لانقياده لوالده وإطاعته له في كل أوامره وأعماله . وختم المتصرف هذه الفقرة من تقريره بالإشارة الى حجم سعادته وهو يودع عمله في هذا اللواء وكلا الكتلتين هما بأمر الحكومة وتحت توجيهها المطلق (٤٥) .

اما عن طبيعة المجتمع في النجف ، فقد ذكر التقرير بان النجفيين حافظوا على روحهم العربية ، وعاداتهم العشائرية ، من دون ان تؤثر فيهم الروح الفارسية . فعاداتهم عربية بحته من حيث الأخلاق وكرم النفس . وهم ملتزمون بتمسكهم بالطقوس الدينية ، كإقامة المآتم ، وتعطيل الأشغال العامة في الأيام المصادفة لوفاة النبي (ص) والأئمة (ع) . واذا استثنينا أيام الأعياد والنوروز فان أكثر الأيام لديهم هي أيام حداد وحزن دائم ، نظرا لكثرة التعازي والمآتم التي تقام بذكرى استشهاد الإمام الحسين بن علي(ع) وأصحابه في يوم كربلاء . اما الأفراح فهي تنحصر في أيام ولادات النبي (ص) والأئمة (ع) . والملاحظ في هذه المناسبات كما يذكر التقرير، ان أيام الأفراح لا تبدو آثارها ظاهرة على الطبقات كافة ، فالشعور بالفرح سطحي ومحدود ولا تولى مناسباته الاهتمام الكافي . على خلاف مناسبات الحزن التي يستعد لها قبل حلول مواعيدها ، ويشترك فيها الصغير والكبير، وتجند لها كل الطاقات ، حتى تبدو المناسبة ظاهرة على كل مرافق المدينة العامة وأسواقها وشوارعها من خلال تعطيل الأعمال ونشر السواد وإقامة التعازي في الكثير من الأماكن العامة والبيوت (٤٦) .

وفي (مايس ١٩٣١) قدم قائمقام النجف بدر الدين السويدي في تقريره السري للدور الإداري صورة عن طبيعة التكتلات الاجتماعية التي تحرك المجتمع النجفي وتطبع أفراده بنمط معين من السلوك والتصرف الاجتماعي ، فقد أشار الى ان النجفيين أناس متكتلون ومتحزبون ، وكل حزب منهم يعمل ضد الآخر، وهم يستعملون مختلف الأساليب لحمل السلطة الحكومية لأخذ الثأر من خصمهم ، و انهم يتقربون الى المسؤولين كثيرا في سبيل تحقيق مصالحهم الخاصة ، لذلك ذكر في تقريره كتوصية لمن يعمل من بعده في إدارة المدينة من المسؤولين الحكوميين فيما إذا لو أراد النجاح في عمله ، بان يعمل بجد في ان لا ينحاز الى أي طرف على حساب طرف آخر، وان ينظر الى الجميع بنظرة واحدة ، من دون تمييز بين الرفيع والوضيع او بين الثري والفقير، وان يتجنب الميل والحزبية ويتذرع بالحزم والشدة بقدر ما تسمح به القوانين . وبناء على ذلك فقد أوصى لوزارة الداخلية بضرورة زيادة قوة الشرطة لغرض

تأمين الأوضاع في المدينة ، لانه بحسب ما يعتقد ، ان زيادة قوة الحكومة سيجعل النجف أكثر أمنا . ومن الجدير بالذكر هنا ان قوة الشرطة في قضاء النجف حتى نهاية (مايس ١٩٣١) كانت تتألف من (٧٠) شرطيا موزعين على مركز شرطة النجف بواقع (٤٣) شرطي مشاة مع (٨) من الشرطة الخيالة ، و (١٩) شرطياً في مركز الكوفة بواقع (١٥) شرطي مشاة مع (٤) من الخيالة (٤٧) .

اما القائممقام جعفر حمندي فقد كان اكثر وضوحا في رسم تفاصيل صورة المجتمع النجفي وسلوك أشخاصه ، مستندا في ذلك الى سعة خبرته وحسن علاقاته مع أبناء المدينة ، وميلهم له لوضوح مواقفه وحسن إدارته وما قام به من خدمات للمدينة ومشاريع لها . ففي تقريره السري المرفوع الى وزارة الداخلية في (٦ آب ١٩٣٣) يذكر بان السواد الأعظم في النجف لم يزل لم يستوف حقه من الحضارة والمدنيّة ، ولم تؤثر فيه سكنى المدينة ، اذ لايزال يحتفظ بالعنعنات القبلية ، وهو مكون من العنزي ، والشمري ، والخفاجي، والزيدي ، والتميمي، والوائلي وغيرهم ، فنرى وجود شبه عشائر وأفخاذ وبطون . وهم ما يزالون يتعاملون بالفصول والحشم في دعواهم ، ويحلون قضاياهم على هذه الصورة ، بسبب ما تأصل في نفوسهم من ميل الى البداوة وأخلاقها نتيجة النزاعات القديمة . لذلك يوصي مسؤولي إدارة القضاء اللاحقين باستحسان عدم فتح المجال لسماع الدعاوي التي تساعد على بقاء واستمرار تلك العادات المخالفة للمدنيّة والحضارة على حد قول التقرير (٤٨) .

وفيما يخص طبيعة التقسيمات الاجتماعية لمحلات النجف الأربعة فقد ذكر التقرير انه ما زال هناك شيوخ أربعة يتزعمون هذه المحلات ، فلكل محلة شيخها او رئيسها . فرئيس محلة العمارة وهي اكبر محلات النجف الحاج عطية ابو كلل ، الذي سبق ان كانت له مواقف معروفة ايام حكومة الاحتلال البريطاني ، حيث نفي على أثرها الى الهند وصودرت أملاكه (٤٩) . لكنه خلد الى السكينة والهدوء خوفا من إجراءات الحكومة وتحسبا لها ، و وصفه التقرير بانه رجل كريم ومحبوب في النجف ومطيع لأوامر الحكومة ، وله عند جماعته طاعة له . اما رئيس محلة الحويش فهو (السيد سلمان) ، وهو رجل مطيع للسلطة ، وله تأثير على قسم من رفقائه فقط ، لان له منافسين من أقاربه ومن غير أقاربه ، مثل تومان عدوه ، احد رؤساء الأفخاذ في محلة الحويش . ورئيس محلة المشراق هو الحاج سعد الحاج راضي ، وهو زعيم الشمرت سابقا ، وقد أثرت فيه الشيخوخة واعتزل الاشتغال بكل شيء ، ويقوم مقامه ولده مغيض وابن اخيه الحاج حسين الظاهر، على ان الثاني أوجه من مغيض الذي يود السكينة ، وهو وابن عمه متفاهمان ومتضامنان لذلك تطيعهم المحلة طاعة تامة . اما رئيس محلة البراق فهو سعد عباس علي دوش ، وهو شاب سليم الطبع ذو أخلاق مرضية وهو محبوب في محلته وفي النجف ، يميل الى السكينة و خدمة الحكومة ، وله علاقات طيبه مع الحاج عطية ابو ككل وابنه كردي . وينافسه على زعامة محلة البراق سيد حسين جريو المبغوض من الناس ولا شعبية له على حد ما ورد في التقرير (٥٠) .

ان هذه الزعامات الاجتماعية في محلات النجف في هذه الفترة كانت زعامات رمزية أكثر من أي شيء آخر، حيث انتهت صراعات ومنافسات الزكرت والشمرت الا من بقايا تظهر بين الحين والآخر في خلافات فردية او أسرية على اثر مشاكل او عداوات شخصية قديمة ، خصوصا ان كل واحد منهم هو خصم للآخر عدا الحاج عطية وسعد دوش ، فإنهم على صداقة وتفاهم . وقد منعت الحكومة هؤلاء الشيوخ من التدخل في شؤون أبناء محلاتهم او المحلات الأخرى في المدينة وجعلت جميع الأمور في يدها حرصا منها على استتاب الأمن والهدوء في المدينة ومنع قيام وتجدد النزعات القديمة التي لا طائل منها .

وفيما يخص خصائص الشخصية النجفية فان التقرير أشار الى ان من عادات النجفيين إكرام الضيف ، والنخوة ، والغيرة . وهم قساة عند الحاجة . ولا يتظاهرون بالخلاعة . ومنهم طبقة ميالة الى الحركة وعدم الهدوء ، تعلو فيهم غريزة حب الاستطلاع وتلقف إخبار العالم ، سياسية كانت او غير سياسية ، وهم ماهرون في صنع الدعايات ، خصوصا ضد الخصوم . فإذا حدث نزاع بين اثنين وولد هذا النزاع خصومة قوية ، فان كل طرف يخلق للثاني من أنواع التهم ما يوجب في الكثير من الأحيان تشويه سمعة الشخص ، او حتى إسقاطه من دون رحمة . وهم ميالون لشراء السلاح والاحتفاظ به بقدر ما يستطيعون ، لحاجتهم له ، بسبب كثرة خلافاتهم وترسّخ قيم العشيرة لديهم . وفيهم طبقة « الملائية « الدينية ، التي تظهر النسك والورع كثيراً ، ويكثر فيها الغموض وعدم الصراحة ، كما ورد في التقرير، ومع هذا فإنها تتظاهر بالمجاملة كثيرا . ثم أشار التقرير في ختام فقرته الى انتشار وسيادة الروح العربية في النجف ، وقال ان العرب فيها شديدوا التمسك بالعروبة ، غيورون عليها الى حد التعصب لها ، وان لهم روحاً وطنيةً . فعلى الرغم من وجود الآلاف من الإيرانيين في النجف ، ومع مالهم من اتصالات وتجارة و نفوذ ، فان اللغة العربية هي اللغة السائدة في كل مكان ، والعادات والأخلاق العربية منتشرة في كل أوساط المدينة ، وبحكم ذلك يضطر الفارسي والهندي والأفغاني وغيرهم من المقيمين الاجانب الى تقليد العرب بعاداتهم وأخلاقهم وتعلم لغتهم و ارتداء ملابسهم العربية ، بحيث ينعدم التمييز بين الفرد العربي والفارسي مثلا في اللغة والمظهر، بخلاف كربلاء (٥١) . وهذا في تقديرنا يعود في أهم أسبابه الى الأصول البدوية والعشائرية العربية لسكان المدينة أولا ، وكرد فعل لكثرة الأجانب في النجف (٥٢) ، خصوصا الإيرانيين منهم ، الذين يتميزون بالتعصب القومي والانغلاق ثانياً . ثم ان هذا الشعور لا يخرج عن كونه جزءاً من الاعتزاز بالهوية والانتماء ، التي يفخر بها أبناء النجف دائما .

ومع بداية سنة (١٩٣٤) قدم القائممقام شاكر حميد عند انتهاء فترة عمله في النجف ، تقريرا مفصلا على قدر كبير من الأهمية مكوناً من ست عشرة صفحة ، تناول فيه

مختلف جوانب الإدارة والمجتمع في النجف . وفيما يخص صفات الشخصية النجفية والعادات والأخلاق التي تغلب عليها ، ذكر التقرير بان النجفيين اشتهر عنهم بانهم يقرون الضيف ويحترمون الغريب ، فيهم نخوة وشمم وهم لا يحترفون المهن الحقيرة ، وما زالوا متمسكين بعادة « الفزع « عند المعارك والخصومات . ميالين لمعرفة الأخبار والتعليق على جميع الأمور المسموعة في مدينتهم ، وتكثر عندهم الدعايات النافعة والضارة على حد سواء. أخلاقهم فاضلة . يسترون نوادي ملذاتهم ويبالغون في التقية منها (٥٣) . ولا يتفاضلون اجتماعيا ، لذلك تراهم مشتتين لا يلتفون تحت راية ، ولا ينضوون لبارز بل لا يحترمون أحدا ما عدا العلماء . بينهم عداوات من بقايا الماضي القريب . و يستجيبون كثيرا لمن يستجيب لهم من المسؤولين ، وإذا ما اصطدم بأية مصلحة من مصالحهم ، اوعزف عن تنفيذ رغبة من رغباتهم الكثيرة والمتعددة ، قلبوا له ظهر المجن . و كثيرا ما يبالغون في التهويل وإسناد التهم لبعضهم البعض ، فيبنون أوهاماً وينسجون خيالاً من الأحاديث والقصص يعرضونها ويشهّرون بها لإسقاط خصومهم ، ولكثرة شيوعها يكاد من لا يعرفهم يوقن بها ، وبالرغم من هذا يكثرون من المجاملة . وفي سوادهم صراحة تامة وطمع زائد ، لشدة الفقر المنتشر بينهم ، ولا يخلوا هذا السواد من خشونة بدوية وسذاجة حضرية (٥٤) .

ويشير التقرير ايضا الى وجود زعامات اجتماعية متنفذة في النجف ، تستند في قوة نفوذها اما الى ما تمتلكه من زعامة دينية ونفوذ روحي ، كما عند المجتهدين من رجال الدين . او تستند الى ما لديها من زعامة اجتماعية ونفوذ شخصي ، كما لدى رؤساء المحلات والشيوخ فيها . او الى قدرة مالية ونفوذ تجاري ، كما لدى كبار التجار والصيارفة و الملاك .

ويمتاز نفوذ المجتهدين من رجال الدين بالقوة وسعة دائرة التأثير والإلزام فيما يخص المقلدين ، سواء كانوا في النجف ام في باقي مدن العراق والعالم الإسلامي التي يقطنها الشيعة من المسلمين . ويتمثل نفوذهم في قدرتهم على إصدار الفتاوى الشرعية التي تمثل وجهة نظرهم اتجاه قضية معينة ، وقد يكون هذا الموقف يتقاطع كليا او جزئيا مع رغبات الحكومة وتوجهاتها السياسية كما حصل في السنوات (١٩٢٣، ١٩٣٤، ١٩٣٥) ، او الاقتصادية والاجتماعية كما حصل في الفترة الممتدة بين السنوات (١٩٥٩- ١٩٦٨) ، حينما تم رفض ما صدر من قرارات حكومية ومعارضتها كقانون الإصلاح الزراعي(٥٥) ، وقانون الأحوال الشخصية رقم (١٨٨) لسنة ١٩٥٩ (٥٦) ، والقرارات الاشتراكية التي صدرت في (١٤ تموز ١٩٦٤) (٥٧) . وقد أشار التقرير الى ان نفوذ الزعامات الدينية قد قل تأثيره ، خصوصا لدى « الشباب المتجدد « ، نتيجة لتطور الأفكار، والسعي للتعليم الحديث ، ونيل الثقافة ، و تغيّر القيم الاجتماعية ، ونشاط الأحزاب السياسية (٥٨) .

اما نفوذ الزعامات الاجتماعية كرؤساء المحلات وباقي الشيوخ فيستند أساسا الى طبيعة القدرات الشخصية ، ومقدار ما يتمتع به الشيخ من وجاهه وأخلاق عربية عالية ، وسمو النفس والذكاء ، فضلا عما يتمتع به من ثروة وكثرة في الأتباع والرجال ، وشكل علاقته معهم وطاعتهم له . ويرتبط بعض هؤلاء والشيوخ بصلات قوية مع بعض المجتهدين الذين يدفعونهم أحيانا لخوض بعض الصراعات التي تجري بينهم نيابة عنهم ، إذ يتم تحريك العامة وتسخيرهم باتجاه ما ، او نحو قضية معينة ، كما حصل في الحملة التي جرت ابتداءً من سنة (١٩٣١) لمحاربة ما طرأ على شعائر عاشوراء ، مما سُمّي بـ « المحدثات والبدع « كالتطبيل ، والتزمير ، ولبس الأكفان ، والضرب بالسيف والسلاسل . إذ انقسم المجتهدون بين مؤيد ومعارض ، ومحلل ومحرم لهذه الممارسات ، ومعهم انقسمت النجف بين هؤلاء وهؤلاء ، وكانت كفة المؤيدين أوسع واشد من المعارضين ، ووظف في هذه الحملة مختلف أنواع الدعاية والتوجيه كالفتاوى ، والخطب ، والنشرات ، والمال . وكانت الزعامات الاجتماعية جزءاً من هذه الحملة في جانبيها (٥٩) . وقد التزم شيخ محلة العمارة الحاج عطية ابو كلل جانب مؤيدي حملة التحريم بعد صدور فتوى السيد ابو الحسن الأصفهاني بالتحريم ، واسهم مساهمة فعالة في حماية « الأمويين « بعد ان اشتد اضطهاد « العلويين « لهم (٦٠) ، في حين التزم أكثر الشيوخ جانب الطرف الآخر. وتمثل دور الزعامات المحلية والشيوخ في تسخير العامة من الناس ، فضلا عن أتباعهم في محلاتهم ، باتجاه ما تم الركون اليه من موقف ، بغض النظر عن طبيعة الموقف وصحته ومشروعيته ، لانهم مسخرون تحاك لهم الأمور وينهضون بها .

ومع بروز الدور التجاري لمدينة النجف وزيادة أهمية الثروة ، كان لابد للعلاقات من ان تكون محكومة بهذا العامل الجديد الذي يتصف بالقوة ، فتتراجع عوامل التراتب الاجتماعي الأخرى المحكومة بالموقع الديني ، او النسب ، ا و اعتبارات المولد ، وان تصبح محكومة أكثر فأكثر بالثروة ومقدارها ، خصوصا في النجف التي يتأثر بقاؤها واستمرارها على التجارة ، التي لا يحركها إلا المال .

لذلك ظهر المتنفذون الذين يستندون الى قدرتهم المالية وتأثيرهم التجاري ، فضلا عما قد يمتلكونه من مزايا أخرى كقوة الشخصية و حسن الرأي او الوجاهة والدور الاجتماعي ، إلا ان تأثيرهم بقي محدوداً كقيادات اجتماعية ، بسبب سعيهم الدائم للحفاظ على مصالحهم الخاصة وزيادة ثرواتهم ، بغض النظر عن طبيعة الطرق و الوسائل المستخدمة ، التي غالبا ما تضر بمصالح الطبقة العامة من أصحاب الصنائع ، وأهل الحرف ، والكسبة ، والعمال ، فضلا عن الطبقة الفقيرة الواسعة التي زادت أعدادها ومعاناتها بسبب ظروف الأزمة الاقتصادية وانعكاساتها على النجف ، وانقطاع الزائرين الإيرانيين ، وشحة مالية الزائر العراقي . حتى وصفت الحالة الاقتصادية في النجف في هذه الفترة بكونها « صعبة « وانها « منحطة « (٦١) . ففي الوقت الذي وجد في النجف تجار أثرياء وممولين كبار، يتعاطون التجارة والإقراض بالفائض الفاحش ، نجد فيها

فقراء مُعدمين لا يستطيعون سد قوتهم اليومي ، يعتاشون بالبسيط من المعاش ، ويرتدون العباءة والثوب الابيض البسيط ، ومع هذا فإن لهم في عزة النفس سلوى على هذه الحال الموجعة ، وكان لهم من الاعتياد ما ان يخفف من شدة الوطئة ، وأمام كل الظروف الصعبة التي عاشتها المدينة وأهلها ، لم تُقدم الطبقة الغنية على مساعدة الطبقة الفقيرة (٦٢) ، عن طريق إنشاء المشاريع النافعة والمنتجة التي تحرك اقتصاد المدينة ، على الرغم من وفرة رأس المال واليد العاملة الفنية الرخيصة ووجود السوق ، لأن القسم الأعظم منهم فضّل التجارة والإقراض بالربا على خوض مجال العمل المنتج . وهم بذلك أسهموا إسهاما فاعلاً في عدم خلق بدائل جديدة لاقتصاد المدينة الذي استمر بالاعتماد على الموارد الخارجية غير الدائمة كحركة الزائرين ، وقدوم الجنائز ، وأموال الحقوق الشرعية والهبات ، مما جعل اقتصاد النجف عرضة للأزمات المستمرة ، وتحت رحمة السياسات الحكومية في كل من إيران والعراق . وقد علقت جريدة الهاتف على هذا الوضع قائلة : ان الشيطان في كل بلد واحد ، إلا في النجف فان شياطينها ثلاثة : إهمال تربية الأطفال ، وإهمال محاسبة المرابين ، والبطالة العامة (٦٣) . لذلك بسبب دورهم السلبي هذا ، لم يكن لهم ذلك الدور الاجتماعي المؤثر في مجتمع المدينة .

وفي (حزيران ١٩٥٠) أورد لنا المتصرف عبد الرسول الخالصي في آخر تقرير له عند فترة عمله في متصرفية لواء كربلاء ، صورة أخرى عن مجتمع النجف حيث أشار الى كونه مجتمعاً معقد التكوين ، متعدد الولاءات ، يضم مراكز قوى مختلفة ، ونزعات متباينه ، ليس من السهل قيادته او توجيهه . ثم أورد التقرير فئات مجتمع المدنية بحسب الأهمية وهي كالآتي :-

أولا : العلماء ، وأبرزهم السيد محسن الحكيم الذي يجتهد في ان يخلف السيد ابا الحسن الأصفهاني في مقامه في المرجعية العليا . والشيخ محمد حسن حسين كاشف الغطاء ، الذي قال عنه انه أرقاهم ثقافة عامة . والشيخ محمد رضا ال ياسين ، أكثر العلماء هدوءاً ومسالمة . والسيد حسين الحمامي أكثرهم انزواءً . والشيخ عبد الكريم الجزائري ، أقربهم لفهم مشاكل العامة وأكثرهم اتصالا بها . والشيخ عبد الكريم الزنجاني صاحب الباع الطويل في الحكمة والفلسفة . وذكر التقرير ان مواقف هؤلاء العلماء قد تلتقي بوحدة الكلمة في اغلب الأحيان ، ولا تلتقي في بعض منها . و أشار بان لهم تلامذة ومريدين وأنصار ودعاة ، وان منزلتهم ونفوذهم تختلف باختلاف مراكزهم العلمية والاجتماعية .

ثانيا : العامة او السواد ، وهم أصحاب الحرف والمهن والصنائع على اختلاف أنواعها ، وهم في الغالب كانوا ينضوون تحت راية احد الرؤساء في محلاتهم وقد خفت صورتها الآن ، إلا انها ما تزال تمثل وتبرز في أيام الأحداث والفوضى . وأصبح رؤوساء هذه الجماعات على مالهم من مكانة اجتماعية كل بنسبة ثروته يتشبثون للاحتفاظ بمراكزهم القديمة عن طريق التزام الحراسة كُل في محلته .

ثالثا : التجار، يوجد في النجف تجار بارزون ومتمولون كثيرون ، وهم ابعد ما يكونون عن التورط بالمشاكل او الاندماج بالطبقتين الأولى والثانية ، حفاظا على مصالحهم وأعمالهم . وقد انتظم عقدهم في هذه السنة (يقصد ١٩٥٠) بتأسيس غرفة تجارة النجف (٦٤) . وختم التقرير فقرته عن مجتمع النجف بوصف الشخصية النجفية وما تمتاز به من صفات كالذكاء ، والمبالغة في الاعتزاز بالذات ، وبالنزعة العربية ، وسرعة الانفعال والوثوب (٦٥) .

مجتمع النجف وتعدد الولاءات :

لقد أدى تعدد مراكز القوى والنفوذ في النجف الى ظاهرة تعدد الولاءات لمراكز القوى الاجتماعية ، وهي لم تبق ثابتة على ما هي عليه ، بل تعرضت للتغير والتآكل . وكانت هذه العملية نتيجة للتأثيرات التراكمية التي امتدت سنوات طويلة . فقد كان لزوال خطر الاعتداءات الخارجية على النجف ، وما قامت به حكومة الاحتلال البريطاني سنة (١٩١٨) من إجراءات شديدة اثر بالغ في فقدان طبقة المحاربين في النجف (المشاهدة) القدرة على المبادرة والاستمرار في قيادة ولاءات لم تعد تلبي حاجة ملحة للفرد العادي في ظل ظروف وحاجات جديدة . و كان لفتح المدارس الحديثة في النجف ، وانتشار التعليم الحكومي ، السبب الرئيس في نشر الوعي بين الناس وتكوين طبقة جديدة من المتعلمين لا تدين بالولاء إلا لقيم الحداثة والإصلاح والتجديد . و اثر نمو التجارة في النجف وتكوّن رؤوس أموال كبيرة وبيوتات مالية وتجارية كثيرة ، في وفرة البضائع الأجنبية ذات الجودة العالية والأسعار المتدنية ، قياسا بالمنتج اليدوي المحلي الذي لم يعد قادرا على المنافسة . فنتج عن ذلك تراجع الحرف اليدوية المنتشرة بكثرة في النجف ، فأدى ذلك الى تحطيم دور الأصناف في تكوين الجماعات الحرفية المتماسكة ، وأنهى دورها كجماعة مؤثرة في التكوين الاجتماعي للمدنية . فضلا عن ذلك فإن خروج المدنية من شرنقتها المتمثلة بالسور، وانطلاقها في التوسع الى خارجه ، مع الازدياد الواضح في اعداد السكان ، سواء بالنمو الطبيعي ام بالهجرة الداخلية . كل هذا أدى الى تغيّر نمط الحياة وشروطها ومطالبها في النجف ، وهذا بدوره خفف وبدّل من الولاءات القديمة ، ثم ان تلك القوى هي نفسها لم تعد فاعلة تقريباً .

ان المحصلة العامة للمتغيرات السابقة ، مع الأخذ بنظر الاعتبار التفاوت الزمني، أدى الى تطورات جديدة وولادة قوى اجتماعية جديدة تمثلت في عناصر الطبقة الوسطى التي تلقت تعليما حديثا وسعت لتحسين أوضاعها . فدخلت ساحة الصراع بكل ثقلها ووعيها ، فأدى ذلك الى ولادة ولاءات جديدة حملت مفاهيم الوطنية . وهي وان لم تستطيع ان تزيح الولاءات القديمة عن مواقعها ، فانها نمت على حسابها مكونة جماعة جديدة ارتبط ولاؤها بالعمل الوطني بمختلف اتجاهاته ، بدلا من الولاءات العشائرية او المحلية او الدينية .

وأخيرا فقد كانت هناك عملية لم تكن اقل تأثيرا في تآكل

الولاءات القديمة وتكوين روابط وأنماط لعلاقات اجتماعية جديدة ، ألا وهي الهجرة الداخلية باتجاه النجف . ان النمو في اعداد سكان المدينة - انظر الجدول رقم (٢) - والذي لا يوازي نسبة النمو الطبيعي ، يفسر لنا وجود هجرة ريفية باتجاه النجف .
وقد أدت هذه الهجرة الى ظهور تجمعات سكانية جديدة في جنوب وجنوب غرب المدينة ، مما أدى الى ظهور خلل في التوازنات السابقة لسكان المدينة نتج عنه قيام روابط جديدة ، هي بالضرورة بعيدة عن الولاءات القديمة ، مما أسهم في تآكلها والتقليل من دورها المؤثر في علاقات المجتمع النجفي .
ان نظرتنا الخاصة الى تعدد الولاءات واختلافها في النجف ليس بالضرورة ان تكون سلبية ، على أساس انها تشتت المجتمع المحلي للمدينة . في حين انه يمكن القول انها كانت تلبي حاجة من حاجات الفرد والجماعة . فالمحلات والعشائر والأصناف كانت تشكل تعبيرا عن النزعة الفطرية للحصول على الحماية في ظل غياب او ضعف سلطة الحكومة . لان الروابط داخل الجماعة سواء كانت في العشيرة ام الصنف ام المحلة ، هي التي تحقق أمن الفرد حتى وان كانت ضعيفة .
وفي الخلاصة يمكن القول ان شخصية الفرد وطبيعة المجتمع النجفي ، قد اثر فيها استمرار قيم أساسية ثلاثة كان لها الدور الأساس في تحديد ورسم سلوك وأخلاق الفرد والجماعة ، هي قيم البداوة والعشيرة ، وقيم الدين والمذهب ، وقيم الحداثة والمدنيّة ، وقد اثر اختلاف هذه القيم وتقاطعها في العديد من النقاط الى تعدد مراكز القوى الاجتماعية في المدينة ، وتشتت ولاءات السكان . و اثر البعد التاريخي للمدينة المتمثل في تعرضها الدائم للتهديد الخارجي ، وضغوط الحكومات التركية والبريطانية ثم العراقية والإيرانية ، فضلا عن وجود أقلية أجنبية متعددة ، الى تمركز أهل المدينة حول الذات المحلية ، فأدى ذلك الى ظهور عصبية المحلة والمدينة ، وبروز زعامات محلية كان لها دورها الاجتماعي المؤثر عبر تاريخ المدينة .

جدول رقم (١)

عدد الأجانب في النجف ونسبتهم بالنسبة لأعداد السكان للسنوات ١٩٢٢ - ١٩٦٥

سنة الإحصاء	العدد الكلي للسكان	العدد الكلي للأجانب	نسبتهم من السكان	مجموع عدد الإيرانيين ونسبتهم من الأجانب	مجموع باقي الجنسيات ونسبتها من الأجانب
١٩٢٢ [٦]	٣٨٩١٧	١٢٩٧٢	٪ ٣٣,٣٣	١١٦٧٤ ٪ ٩٠	١٢٩٧ ٪ ١٠
١٩٣٠ [٧]	٣٥٠٠٠	١٣٠٠٠	٪ ٣٧,١٤	١١,٧٠٠ ٪ ٩٠	١٣٠٠٠ ٪ ١٠
١٩٣٢ [٨]	٣٤٤٠٠	٩٥٥٧	٪ ٢٧,٧٨	٨٩٩٤ ٪ ٩٤,١٠	٥٦٣ ٪ ٥,٨٩
١٩٣٣ [٩]	٤١٥٩٨	٩٦٤٤	٪ ٢٣,١٨	٩٠٠٠ ٪ ٩٣,٣٢	٦٤٤ ٪ ٦,٦٧
١٩٣٦ [١٠]	٤٣٨٨٦	١٠٦٣٥	٪ ٢٤,٢٣	غير متوفرة	غير متوفرة
١٩٤٧	٤٦٤٥٣	٨٣٥٨ [١]	٪ ١٧,٩٩	غير متوفرة	غير متوفرة
١٩٦٥	١٢٨٠٩٦	١٢٥٤٤ [٢]	٪ ٩,٧٩	غير متوفرة	غير متوفرة

الجدول من عمل الباحث .

توصلت الدراسة الى جملة من النتائج منها :

أنَّ النجف كانت عربية النزعة و الإحساس ، عربية العادات والتقاليد ، تنتشر فيها مظاهر العروبة في صفات سكانها وممارساتهم الاجتماعية . وهي أقرب الى الطبيعة البدوية منها الى التحضر. فالعشائرية ، والنخوة ، وكرم الضيافة ، وحماية الجار ، والصراع ، و التغالب ، استمرت ظاهرةً في السلوك الاجتماعي لسكان المدينة . وعلى الرغم من كثرة المهاجرين الأجانب فيها وسعيهم الدائم للتأثير عليها ، و طول فترة السيطرة الأجنبية ، فلا اللغة التركية ، ولا الفارسية ، وجدت لها سوقا أو أذناً صاغية في النجف ، التي أصرت أنْ تحتفظ بلغتها العربية وأصالة هويتها وعاداتها و قيمها العشائرية العربية .

فيما يخص السكان أظهرت الدراسة ان أعداد السكان في المدينة قد تزايد بشكل واضح خصوصا خلال الفترة الممتدة للسنوات (١٩٠٠ - ١٩٦٥) , و ظهر أنَّ الزيادة الحاصلة خلالها هي (٥٨١ ٪) , وهي زيادة كبيرة جداً لا تتناسب مع نسب النمو الطبيعي للسكان , مما يؤشر لنا وجود هجرة باتجاه النجف أخذت اتجاهين :

الأول , هجرة داخلية من القرى و الأرياف العراقية أدت الى حصول تغيرات واضحة في ديموغرافية المدينة , كان من نتائجها حصول زيادة كبيرة و سريعة في أعداد السكان , مما أدى الى زيادة ازدحام المدينة و تفاقم أزمة السكن فيها , مع تزايد نسب البطالة التي وصلت الى أكثر من نصف القوى العاملة , و تدني الأجور , كما أدت هذه الهجرة الى ترييف أطراف المدينة التي تميزت على الدوام بكونها حضرية .

اما الاتجاه الثاني فقد كان الهجرة الأجنبية التي كانت تقف وراءها دوافع دينية , او ثقافية , او اقتصادية , نتج عنها تشكيل أقلية أجنبية وصلت نسبتها في بعض الأحيان الى (٣٣٪) من مجموع أعداد السكان . وقد كون هؤلاء الأجانب خليطاً بشرياً غير متجانس لا في العنصر ولا في الهوية ولا في الجنس أو اللون , بسبب الطيف الواسع لانتماءاتهم المختلفة , و تباينهم الاجتماعي . و أظهرت الدراسة محاولات هؤلاء الأجانب و سعيهم الدائم للتأثير في هوية النجف العربية , إلا أنهم فشلوا في محاولاتهم بسبب قوة الطابع العربي في المدينة , و انتماءات السكان العربية . ساعدت جملة عوامل على زيادة الهجرة الأجنبية الى النجف .

ان الهجرة الى النجف والسكن فيها لم يكن على شكل جماعات مهاجرة كبيرة ، يمكن ان تؤثر بشكل واضح في تغيير البنية الاجتماعية للمدينة . بل انها كانت اما بشكل فردي محض ، او في أحسن الأحوال كانت مع أسرة صغيرة او مجموعة أسر تكون نواة لتأسيس أسرة كبيرة بعد عدة أجيال . وكان هذا احد الأسباب المهمة التي جعلت الأجيال اللاحقة من هؤلاء المهاجرين ينتسبون الى اسم الجد الكبير ، او المهاجر الأقدم في الأسرة بدلاً من الانتساب للعشيرة او القبيلة التي عاشوا بعيدين عنها ، منفصلين عن مؤثراتها .

وبسبب كون الهجرة للنجف فردية او أسرية صغيرة ، وهذا ما حصل على طول امتداد تاريخ المدينة . فان هذه الظاهرة أدت الى بروز ظاهرة جديدة في المجتمع النجفي ، فمع تكوّن المحلات وتعددها ، وفي ظل غياب الانتماء والتكتل العشائري او القبلي ، برزت ظاهرة التكتل في الانتماء الى المحلة السكنية ، لتحقيق حالة من الأمن والاطمئنان في ظل غياب او بعد العشيرة والقبيلة وفقدان حمايتها ، حتى تحولت الى عصبية قوية . وفي هذه المحلات نشأت بيوتات النجف وأسرها القديمة واللاحقة . والنجفيون يطلقون كلمة (بيت) على مجموعة الأسر التي تنتمي للأب الكبير. وقد نشأ في هذه المحلات ما يزيد على مئة بيت له شهرته في مجال علوم الدين ، او الشعر والأدب ، او التجارة والمال ، او الزعامة والقوة .

وخصوصا الهجرة ،

قيام الدولة الصفوية في إيران سنة (١٥٠١) وتشييع الإيرانيين ، وعودة الحوزة العلمية الى النجف من جديد لتستقر فيها بعد الصراع الفكري بين الاصوليين والاخباريين ، و توقيع معاهدة (أروضروم) الأولى في (٢٨ تموز ١٨٢٣) بين الدولة العثمانية و الصفوية مما جعل الأوضاع أكثر استقرار بين الدولتين ، انتشار الكتابات والمؤلفات التي تشير الى فضل مجاورة الإمام علي بن ابي طالب(عليه السلام) في الحياة ، والدفن الى جواره لنيل شفاعته بعد الممات ، فضلا عن تشيّع القسم الأكبر من العشائر العراقية في بداية القرن التاسع عشر.

وفيما يخص البنية الاجتماعية في المدينة وطبيعتها : ظهر أنَّ للعامل الديني الذي هو في أساسه بناء أصولي ، أثره الواضح في التأثير على البنية الاجتماعية في المدينة ، إذ أثرت سُلطة النُخب من رجال الدين في رسم وتحديد الأطر العامة للمواقف السياسية , والاقتصادية , والاجتماعية لمدينة النجف اتجاه الأحداث المحلية ، والقطرية ، وحتى الإقليمية ، بالشكل الذي جعل مصير هذه المدينة يتداخل مع مصير هذه النخب الدينية في الكثير من الأحداث .

كما تأثر البناء العام للبنية الاجتماعية بالتنظيمات السياسة و الفكرية و المهنية بمختلف اتجاهاتها الوطنية والقومية و الاشتراكية , فبعد أنْ ساد التيار الاجتماعي المحافظ المتأثر بالتيار الأصولي المتشدد , نرى الانتشار الواسع لمفاهيم الوطنية والقومية , والاشتراكية والديمقراطية ، كبديل مطروح لمفهوم المذهب والدين أو المحلة والعشيرة ، و لم يعد الإسلام أو التشيع الرابط الأساسي للمجتمع النجفي ، والدليل على ذلك ، سعة النشاط السياسي في المدينة للحد الذي أصبح فيه مظهرا من مظاهر الشارع النجفي اليومية خصوصا في العقود الوسطى من القرن العشرين.

و فيما يخص شخصية الفرد و طبيعة المجتمع أظهرت الدراسة استمرار قيم أساسية ثلاثة في تحديد ورسم سلوك و أخلاق الفرد والجماعة ، هي قيم البداوة والعشيرة ، وقيم الدين

والمذهب ، وقيم الحداثة والمدنيّة ، وقد أثر اختلاف هذه القيم وتقاطعها في العديد من النقاط الى تعدد مراكز القوى الاجتماعية في المدينة ، وتشتت ولاءات السكان , و الازدواج في القيم و السلوك على الرغم من وحدة الدين والمذهب و التعصب للمدينة . وفضلاً عن هذا كان لملامح الشخصية النجفية التي تميزت بالاعتداد بالنفس ، و الفردية , والرغبة في الجدل ، والميل الى التكتل , والتعصب ، وسرعة الانفعال والوثوب ، الدور المضاف في خلق الأفكار المتعددة والاختلاف فيها . كما كان لتعدد العناصر المكونة لمجتمع المدينة ، وتنوعها الثقافي ، وتعدد الجنسيات والقوميات ، واختلاف الاهتمامات والأهداف والوسائل ، جعل من الصعب أنْ تكون مواقف هذه الأطياف متفقة اتجاه قضية ما

وأخيرا فان مجتمع النجف و ما تميز به من فردية ظاهرة نتج عنها تعدد الزعامات و الولاءات , أدى الى إذكاء الصراع الداخلي و التغالب الاجتماعي على خلفيات متعددة ، كالصراع بين القديم والجديد ، والصراع بين المحلات والأسر والبيوت النجفية , و الصراع بين الاثنيات والجنسيات , والصراع السياسي على خلفيات متعددة . و على الرغم من النتائج السلبية التي قد ينتج عنها صراع الأفراد و الجماعات ، إلا انه يبقى للصراع الاجتماعي و الفكري آثاره الايجابية , إذ انه يحرك الأوضاع الراكدة , و يولد وعياً جديداً يدفع بالمجتمع الى التغيّر و التقدم .

جدول رقم (٢)

إحصاءات نفوس النجف من حيث عدد السكان والجنس والنسبة المئوية للفترة ١٩٢٢ - ١٩٦٥

ت	سنة الإحصاء	عدد الذكور ونسبتهم	عدد الإناث ونسبتهن	المجموع الكلي	الملاحظات
١	١٩٢٢ [٣][٧]	١١٨٣٧ ٪ ٤٥,٤٨	١٤٢٨٥ ٪ ٥٤,٨٩	٢٦٠٢٢	مدينة النجف ا لعراقيين فقط
٢	١٩٣٠ [٤][٧]	–	–	٣٥٠٠٠	مدينة النجف عراقيين وأجانب
٣	١٩٣١ [٥][٧]	١٦٧٠٠ ٪ ٤٨,٥٤	١٧٧٠٠ ٪ ٥١,٤٥	٣٤٤٠٠	مدينة النجف عراقيين وأجانب
٤	١٩٣٣ [٦][٧]	–	–	٤١٥٩٨	مدينة النجف عراقيين وأجانب
٥	١٩٣٤ [٧][٧]	١٥٥٤٦ ٪ ٤٦,٦٦	١٧٧٧٠ ٪ ٥٣,٣٣	٣٣٣١٦	مدينة النجف العراقيين فقط
٦	١٩٤٧ [٨][٧]	٢٠٧٧٠ ٪ ٤٤,٧١	٢٥٦٨٣ ٪ ٥٥,٢٨	٤٦٤٥٣	مدينة النجف العراقيين فقط
٧	١٩٥٧ [٩][٧]	٥٨٥٧١ ٪ ٤٧,٩٢	٦٣٦٥٢ ٪ ٥٢,٠٧	١٢٢٢٢٣	مدينة النجف العراقيين فقط
٨	١٩٦٥ [١٠][٨]	٦٣٠٦٦ ٪ ٤٩,٢٣	٦٥٠٣٠ ٪ ٥٠,٧٦	١٢٨٠٩٦	مدينة النجف العراقيين فقط

الجدول من عمل الباحث .

الهوامش

١ - الطار: لفظ عربي معناه حد الشيء . وهو ظاهرة جيولوجية تمتد على الطرف الجنوبي والغربي لهضبة النجف ، حيث تنقطع الهضبة بصورة حادة لتشكل جرفاً صخرياً بارزاً يطل على منخفض النجف (البحر) وهو ما يعرف بطار النجف . ومتوسط ارتفاعه يبلغ حوالي (١٠٠) متر عن مستوى سطح البحر . انظر : موسى جعفر العطية ، ارض النجف التاريخ والتراث الجيولوجي والثروات الطبيعية ، (النجف : مؤسسة النبراس للطباعة والنشر ، ٢٠٠٦) ، ص ص ٨٠- ٨١ .

٢- محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، تحقيق مصطفى مجازي وآخرون ، (بلا : ١٩٦٩) ، ص ص ٣٨٤- ٣٨٨ ؛ جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب ، المجلد التاسع ، ٠بيروت : دار الفكر) ، ص ٣٢٣ .

٣- إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ج٢ ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ، ص ٩١١.

٤-ان هذا الموقع جعلها مفتوحة أمام الصحراء ، وبسبب ذلك تعرضت في فترات متكررة من تاريخها الى هجمات الأعراب المحليين وغزوات البدو من الوهابيين ، مما دعا الى تسويرها حماية لها، وقد شيدت لهذا الغرض أربعة أسوار وفرت الحماية للمدينة خصوصاً اتجاه غزوات الاخوان من الوهابيين ، في حين ان مدينة كربلاء دمرت ونهبت من قبل هؤلاء لعدم تسويرها . للتفاصيل انظر : محبوبة ، المصدر السابق ، ص ص٢٠٩ - ٢١٤ حسن عيسى الحكيم ، أسوار مدينة النجف الأشرف ، مجلة سومر، ج١و ٢، م ٣٨، ١٩٨٢.

٥-عانت النجف بسبب هذا الموقع وارتفاعه من شحة الماء وانعدامه . وجرت محاولات كثيرة لإيصال الماء لها، وصرف مبالغ طائلة وجهود كبيره ، لكن دون من جدوى لأنها كانت حلول مؤقته تنتهي تدريجياً مع الزمن حتى عام ١٩٨٢ حينما نصبت مضخة كبيرة على نهر الفرات في الكوفة لدفع الماء بوساطة الأنابيب الى النجف . للتفاصيل انظر: محبوبة، المصدر السابق، ص ص ١٨٣- ٢٠٨ محسن عبد الصاحب المظفر، مدينة النجف الكبرى دراسة في نشأتها وعلاقاتها الإقليمية ، (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٢) ، ص ص ٢٥- ٣٢ .

٦-تبلغ مساحته حوالي (٢٨٩٦) كيلومتر مربع ، أعمق نقطة فيه تبلغ دون مستوى سطح البحر بـ (١٣) متراً احمد سوسه ، وادي الفرات ومشروع سدة الهندية ، ج٢، (بغداد : مطبعة المعارف ، ١٩٤٥) ، ص ٢٦٥ .

٧-ابو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦) ، مقاتل الطالبيين ، شرح و تحقيق السيد احمد صفر ، (إيران : مطبعة شريعت ، ١٤٣٢) ، ص ٥٤ .

٨-يشير السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة الى ان السيد ميرزا محمد أمين الأسترابادي (ت ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م) المعروف بـ (المحقق الأسترابادي) الذي هو رأس الأخباريين في بداية القرن الحادي عشر الهجري ، بأنه أول من طعن بالاجتهاد و المجتهدين في كتابه (الفوائد المدنية في الرد على من قال بالاجتهاد و التقليد) داعياً الى العمل بمتون الأخبار ، طاعناً بالأصوليين بلهجة شديدة ، زاعماً ان إتباع العقل و الإجماع ، و ان اجتهاد المجتهد ، و تقليد العامي ، بُدع و مُستحدثات . محسن الأمين أعيان الشيعة ، ج ٩ ، ص١٣٧ . وعلى اثر ذلك احتدم الخلاف بين المناصرين للعمل بمتون الأخبار ، و الداعين الى الاجتهاد و التقليد ، و عرف هذا الخلاف بين المدرستين بـ (الصراع الأخباري الأصولي) . وكانت مدينة كربلاء ساحته الرئيسة للفترة (١١٥٠ - ١٢١٢هـ / ١٧٣٧ - ١٧٩٧ م) ، و انتهت المعركة الفكرية الى انتصار الفكر الأصولي ، و انتقال المركز الأكاديمي الأول للفكر الشيعي من كربلاء الى النجف . للاطلاع على تفاصيل الخلاف الفكري بين الأخباريين و الأصوليين أنظر : محمد باقر الصدر ، المعالم الجديدة للأصول غاية الفكر، (قم ، مطبعة شريعت ، ١٣٧٩ هـ)، ص ص ٩٨ - ١١٢ ؛ محمد بحر العلوم ، الدراسة وتاريخها في النجف ، بحث ضمن موسوعة العتبات المقدسة ، (بيروت : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ١٩٨٧) ، قسم النجف ج٢، ص ص ٩٨- ١١٢.

٩-ارنلد . تي. ولسون ، بلاد ما بين النهرين بين ولاءين . ترجمة : فؤاد جميل ، ط ٢ ، (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٢) . ص ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

١٠ From .١٩٢٣/٦/٢٨ .M. I. Telegram No. Nil , Dated)) Interior, to Mutasarrif Karbala , The Ulama , File No. ٩ / ١٨.

١١- (وهو العالم والفقيه و المحقق السيد ابو الحسن بن السيد عبد الحميد الموسوي الأصفهاني ، ولد في قرية مديس القريبة من أصفهان سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م ، درس علومه الأولية في أصفهان ثم هاجر الى النجف سنة ١٨٩٠ و أتم دراسته فيها حتى نال درجة الاجتهاد . كان احد ابرز المعارضين لانتخابات المجلس التأسيسي العراقي ، و أفتى بحرمة الانتخاب ، وبعد نفي الشيخ مهدي الخالصي احتج و غادر العراق في ٢ تموز ١٩٢٣ ، ثم عاد في ٢١نيسان ١٩٢٤بعد تقديمه تعهد بعم التدخل بالأمور السياسية . وبعد وفاة المرجع الأعلى شيخ الشريعة الأصفهاني برزت شخصية السيد أبو الحسن كأحد المراجع الرئيسيين في النجف ، وبعد وفاة الشيخ احمد كاشف الغطاء سنة١٩٢٥، و وفاة الشيخ محمد حسين النائيني سنة ١٩٢٦ انفرد السيد ابو الحسن بالمرجعية العليا حتى وفاته في ٤ تشرين الثاني ١٩٤٦. له العديد من المؤلفات و الشروح و الحواشي منها ذخيرة الصالحين ، و وسيلة النجاة ، وحاشية على العروة الوثقى.

. ؛ ١٨ /٩ .M . I . " The Ulama " File No

محمد حرز الدين ، معارف الرجال في تراجم العلماء و الأدباء (النجف ، مطبعة الآداب ، ١٣٨٣/ ١٩٦٤) ج ١، ص ص٤٧-٤٨يسث .١٢-ورد في باب ما يقال عند قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) صفحة ٥٧١، ج٤ من كتاب الكافي للشيخ الكليني (ت٣٢٩هـ) " ... أتيتك عائذاً من نار استحقها مثلي بما جنيت على نفسي ، أتيتك ابتغي بزيارتك فكاك رقبتي من النار ، أتيتك هارباً من

ذنوبي التي احتطبتها على ظهري اتيتك وافداً لعظيم حالك ومنزلك عند ربي فأشفع لي عند ربك فإن لي ذنوباً كثيرة وان لك عند الله مقاماً معلوماً وجاهاً عظيماً وشأناً كبيراً وشفاعة مقبولة وقد قال الله عز وجل :(ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) اللهم رب الارباب صريخ الاحباب اني عذت بأخي رسولك معاذاً ففك رقبتي من النار آمنت بالله وبما انزل اليكم ... " . كما ورد في باب فضل زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) صفحة ١٠٧، ج ٦ من كتاب تهذيب الاحكام للشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) "... قال رسول الله (صلى الله عليه واله) لعلي (عليه السلام) : يا أبا الحسن ان الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة وعرصات من عرصاتها ، وان الله عز وجل جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن اليكم وتحتمل المذلة والاذى فيكم ، فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرباً منهم الى الله ومودة منهم لرسوله ، أولئك يا علي المحضوضون بشفاعتي والوارد من حوضي[وهم] زواري وجيراني غداً في الجنة..." وينقل الشيخ الصدوق في (ت٣٨١هـ) في كتاب علل الشرائع ، ص ٥٨٥، ج٢، عن لسان النبي ابراهيم (ص) عن موقع النجف " ... ان الله يحشر من هذا المكان سبعين الفاً يدخلون الجنة بغير حساب يشفع الرجل منهم لكذا وكذا . " .

١٣- على اثر تعرض النجف لغارات الأعراب و الوهابيين و خوفاً من المباغته وضع اهل النجف مفرزة مسلحة متقدمة في منطقة الرحبة جنوب غربي النجف لغرض العلم المبكر بأي غزو قادم . و على اثر امتناع السيد محمود الرحباوي في استقبال هؤلاء , و تزويج بناته الى ابناء عمومتهن طُلب للمحاكمة في النجف , و ارسل عباس الحداد مع جماعة لإحضاره الى النجف للمحاكمة . غير انه قُتل في داره في الرحبة من دون معرفة القاتل . وعلى اثر ذلك طالب الملا محمد طاهر وهو حاكم النجف (من الملالي) بدمه لقرابة معه , غير انه قُتل ايضاً . فقام اصحابه مطالبين بدمه و غلبت عليهم كلمة (الشمردل) ثم الشمرت و انظم اليهم المطالبون بدم الرحباوي , مقابل (الزقرت) او جماعة الزكرت . فحدثت مناوشات بالأسلحة و استمرت المعارك و القتل و طلب الثأر حتى قتل عباس الحداد زعيم الزكرت غيلة . و على اثرذلك تشكلت جماعتان مسلحتان في النجف و اخذت بالتوسع حتى اصبحت ظاهرة غالبة على المحلات الأربعة القديمة , فكانت محلة العمارة و الحويش و بعض محلة البراق تابعة للزكرت , و محلة المشراق و المتبقي من محلة البراق للشمرت . وكان آخر زعامات الفريقين هم : عطية ابو كلل في محلة العمارة و السيد مهدي السيد سلمان في محلة الحويش , و كاظم صبي في محلة البراق , و سعد الحاج راضي في محلة المشراق . للتفاصيل عن مجريات المعارك و الأحداث بين الفريقين انظر: محسن الأمين , اعيان الشيعة , ج ٣, ص ص ٣٥٥- ٣٥٦ ؛ العزاوي , المصدر السابق , ج٦، ص ٢٥٩ ؛ لونكريك , المصدر السابق , ص٢٨٢ .

١٤- محبوبة , المصدر السابق , ج١ , ص٢٣ .

١٥-علي الشرقي , موسوعة الشيخ علي الشرقي النثرية القسم الرابع الاحلام , جمع وتحقيق موسى الكرباسي , (بغداد : مطبعة العمال المركزية , ١٩٩١) , ص ١٠٢ .

١٦- الشيخ محمد بن الشيخ طاهر السماوي , عنوان الشرف في وشي النجف , (النجف : مطبعة الغري , ١٩٤١) , ص ص ٥٩- ٦٠ .

١٧-إسحاق نقاش , شيعة العراق , (قم : المكتبة الحيدرية , ١٩٩٨) , ص ٢٦١.

١٨- ورد في علل الشرائع للشيخ الصدوق في حديث رواه ان النبي ابراهيم الخليل (عليه السلام) قد اشترى الظهر [منطقة النجف] من اهله بسبع نعجات و أربع أحمرة , و حينما سأله غلامه ماذا تصنع بهذا الظهر و ليس فيه زرع ولا ضرع فقال له : " أسكت فان الله تعالى يحشر من هذا الظهر سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب يشفع الرجل منهم لكذا و كذا " . علل الشرائع , المصدر السابق , ج ٢ , ص ٥٨٥ ؛ الطوسي , تهذيب الأحكام , المصدر السابق , ج٦ , ص ١٠٧ .

١٩- M. I. Most Secret Report, From Combined Intelligence Center ، Iraq , Baghdad , to Mr. Edmonds Adviser to the Ministry of Interior , Baghdad , Dated 24th January ١٩٤٣ , No . ٨٥ . P. ١ .

٢٠ - حسين البراقي , اليتيمة الغروية والتحفة النجفية , المصدر السابق , ص ص ٤٩١- ٤٩٨ ؛ محبوبة , المصدر السابق, ص ص ٣٢٤ - ٣٣٠ .

٢١- انظر: مهدي جواد حبيب البستاني , " الوعي القومي العربي في العراق خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر " بحث منشور في مجلة كلية الفقه , العدد الثاني , ١٩٨٣-١٩٨٤ , ص ص ٦٦٦ - ٦٧٠ .

٢٢- للمزيد من المعلومات انظر: محمد رضا الشبيبي , " وثيقة خطيرة حول ثورة النجف ضد الاستعمار البريطاني " ص ٢٨٥ ؛ مجيد الموسوي , صفحات مجهولة من تاريخ النجف الأشرف , (بغداد : ١٩٥٧) , ص ص ١٠١- ١٠٥ .

٢٣- كان من جملة الاجراءات تشكيل محكمة عسكرية خاصة حكمت بإعدام اربعة عشر شخصاً نفذ الحكم بأحد عشر منهم , كما اصدرت احكاما بالسجن على تسعة اخرين لمدد تراوحت بين ست سنوات والسجن المؤبد , و حكمت على ١٢٣ شخصاً بالنفي الى الهند . انظر : عبد الرزاق الحسني , ثورة النجف , ص ص ٨٠-٩٠ .

٢٤- نسبة الى جبل عامل في لبنان .

-٢٥- نسبة الى قرية فتونه في جبل عامل .

٢٦- نسبة الى الجزائر في جنوب العراق .

٢٧- الكرباس : الثوب الخشن . وهي كلمة فارسية . المنجد في اللغة والأعلام , المصدر السابق , ص٦٧٩ .

٢٨-للمزيد من التفاصيل عن الأسر النجفية انظر : محبوبة ، المصدر السابق ، ج ٢ و٣ .

٢٩-للاطلاع على صراعات الشمرت والزكرت والحملات الحكومية ضدهم انظر : العزاوي ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٢٥٩ ؛ لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٢٨٢ ؛ مهدي جواد حبيب البستاني ، " وثائق عثمانية غير منشورة عن المقاومة العربية في النجف في اواسط القرن التاسع عشر " ، مجلة جمعية المؤرخين في العراق ، العدد / ٨ ، ١٩٩٠ .

٣٠- حكم للفترة من ١٧ نيسان ١٩٦٦ - ١٧تموز ١٩٦٨.

٣١ من ابرز ما تم في هذا المجال تأسيس (جماعة العلماء) بعد تموز ١٩٥٨ التي تألفت من اربعة عشر عضوا من رجال الدين ، وكانت برئاسة المجتهد الشيخ مرتضى ال ياسين ، وعضوية كل من : محمد رضا المظفر ، وحسن الجواهري ، وباقر الشخص ، واسماعيل الصدر، ومحمد تقي بحر العلوم ، وموسى بحر العلوم ، ومحمد جواد ال راضي ، ومحمد تقي الايرواني ، ومحمد طاهر ال راضي ، وحسن الهمداني ، وخضر الدجيلي ، و مرتضى الخلخالي ، وعباس الرميثي . نالت هذه الجماعة تاييد المراجع الكبار ومباركتهم وبدات نشاطها لمواجهة الشيوعية بأصدار سبع نشرات مطبوعة ، ثم اصدرت مجلة الأضواء التي صدر العدد الاول منها في ٩ حزيران ١٩٦٠. للمزيد من انظر : حسن شبر، حزب الدعوة الاسلامية الكتاب الاول ، (قم : مطبعة شريعت ، ١٤٢٧ هـ) ، ص ص ٢٣٠ - ٢٥٠ ؛ محمد الشيخ هادي الاسدي ، الإمام الحكيم عرض تاريخي لدوره السياسي والثقافي ، (بغداد : مطبعة العدالة ، ٢٠٠٧) ، ج ١، ص ص ٢١٨ - ٢٣٩ .

٣٢- اشار تقرير استخباري بريطاني يعود الى بداية سنة ١٩٤٣ الى وجود تنظيمات وخلايا للحزب الشيوعي العراقي في النجف . إذ ذكر ان الشيوعية بدأت ببناء ارضيتها في النجف ، وان عددهم يزداد تدريجيا ، وان مسؤول التنظيم هو عبد الحسين الجواهري الذي يعمل معلما في احدى المدارس الابتدائية ، وهو نشط جدا ويعمل حثيثا على جعل النجف مركزا للشيوعية في جنوب العراق او على الاقل في الفرات الاوسط . و اشار التقرير الى زيارة قام بها داود الصائغ عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي الى النجف لتطوير نشاطات الحزب في النجف وانشاء نواة له في الحلة . و ذكر التقرير ان مجلة (المجلة) ذات التوجهات الشيوعية هي اكثر المطبوعات رواجاً في النجف ، كما كان يتم توزيع جريدة (الشراره) ايضا , وهي الجريدة السرية للحزب الشيوعي ، بعد ان توقفت مجلة (المثل العليا) الشيوعية التي كان يصدرها كاظم الكيشوان بسبب عدم توافر الورق والنقود .

M. I. Most Secret Report , " A week in Najaf " by Mason to Mr. Edmonds Adviser to the Ministry of Interior , Dated 24th January ١٩٤٣ , p.١٢ .

٣٣) محمد علي كمال الدين ، النجف في ربع قرن ، ص ص ٦٢- ٦٣ .

٣٤ علي الشرقي ، الموسوعة ، القسم الرابع الاحلام ، ص ص ٩٩-١٠٠.

٣٥-انظر : علي الوردي ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، ص ١٦٥ .

٣٦-يذكر الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري في مذكراته عن بيئة النجف الاجتماعية وحجم الانغلاق والعزلة فيها فيقول : " ما اريد قوله بتحفظ هو وارد على لسان كل عارف لهذه البيئات ، ولا سيما تلك التي يسيطر عليها الدين ، بما صلح منه وما لم يصلح ، وبما زُيف وما حُرف وما لم يُزيف ، هو اني عشت بيئة تسيطر عليها الأعراف والتقاليد البالية ، بيئة يكاد يُمنع فيها حتى مجرد التقابل بين الرجل والمرأة ، فيما هو مفروغ منه في المجتمعات الأخرى . هذا في ظواهر الأمور منها اما في بواطنها وخفاياها ، فكل ما يتجاوز الحدود من شبهات وريب ... " محمد مهدي الجواهري ، مذكراتي ، (قم : دار المجتبى ، ٢٠٠٥) ، ج١ ، ص ١٢٧.

٣٧-كان من الشيوعيين البارزين الذين وضع فهد ثقته فيهم ، ولد في النجف سنة ١٩١٤ من اسرة دينية ، اصبح عضوا في اللجنة المركزية منذ عام ١٩٤١ ، ثم عضوا في المكتب السياسي سنة ١٩٤٥، وكان مسؤولاً عن تنظيمات الحزب الشيوعي في الجنوب . حنا بطاطو , العراق الكتاب الثاني الحزب الشيوعي ، ترجمة عفيف الرزاز(بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٩٢) ، ص ١٦٦ .

٣٨-كان مسؤول لجنة النجف المحلية ، وترك التنظيم عام ١٩٤٨ . المصدر نفسه ، ص ١٧٨.

٣٩- عضو اللجنة المحلية في النجف . المصدر نفسه ، ص ٤٠٦ .

٤٠- ( ) M. I. Most Secret Report « A week in Najaf « by Mason to Mr. Edmonds, OP. Cit., p.١٢.

كان في سنة ١٩٤٣ مسؤولا عن اللجنة المحلية في النجف .

٤١- أ . و. د . التقرير السري للدور الإداري لمتصرف لواء كربلاء جلال الدين بابان المرقم س/ ٨٠ في ١٩ نيسان ١٩٣١، الملفة السابقة ، ص ص ٣-٤ من التقرير .

٤٢ -

٤٣- البيع على الأخضر هو ان يشتري التاجر محصول الشلب وهو ما يزال نباتاً اخضر في مزارعه بحسب اتفاق يجري بينه وبين المُزارع او الشيخ ، حيث يستلم الاخير المبلغ الذي يصل في الكثير من الاحيان الى نصف السعر الحقيقي قبل نضوج المحصول بسبب حاجته للمال ، ويستلم التاجر المحصول كاملا عند حصاده .

٤٤- أ . و. د . التقرير السري للدور الإداري لمتصرف لواء كربلاء جلال الدين بابان المرقم س/ ٨٠ في ١٩ نيسان ١٩٣١، الملفة السابقة ، ص٤ من التقرير .

٤٥- المصدر السابق ، ص٥ من التقرير ١٢ .

٤٦-) أ . و. د . المصدر السابق ، ص ص ٦ - ٧ من التقرير .

٤٧-أ . و. د . التقرير السري للدور الإداري لقائممقام النجف بدر الدين أفندي السويدي المرسل لوزارة الداخلية بموجب كتاب

متصرفية لواء كربلاء السري المرقم س/ ٩٥ في ١٤مايس ١٩٣١ ، ص ٢، ص٤ من التقرير .

٤٨-أ . و. د . التقرير السري للدور الإداري لقائممقام النجف جعفر حمندي المرقم س/ ١٣٢ في ٦ آب ١٩٣٣، الملفة السابقة ، ص٢ من التقرير .

٤٩- أعيدت له أملاكه بموجب قرار مجلس الوزراء المتخذ في جلسته المنعقدة في ١٩ تشرين الثاني ١٩٠ بناءً على ما رفعته وزارة الداخلية بكتابها المرقم ١٤٧٦٦ في ٩ تشرين الثاني ١٩٣٠. M. I. Haji Attiyah Abu Gulad , File No . ٢٦ / ٤ ؛ Proceeding of the Council of Ministers Meetings, for November ١٩٣٠ ,File No. ٢٣/ ٢/٨٨ - ٢٣/ ٢/ ٩٥ .

٥٠- أ . و. د . التقرير السري للدور الإداري لقائمقام النجف جعفر حمندي ، المصدر السابق ، ص٣ من التقرير.

٥١-أ . و. د . التقرير السري للدور الإداري للقائممقام جعفر حمندي ، المصدر السابق ، ص ٣ من التقرير .

٥٢-) للاطلاع على أعداد الأجانب في النجف انظر الجدول رقم (٢٨) .

٥٣- في موضع اخر من التقرير وعند الحديث عن السراديب في النجف ، يشير التقرير الى انها الوسيلة الوحيدة عند العامة لإقامة مجالس الأنس والطرب المحرمة في النجف .

٥٤- أ . و. د . التقرير السري للدور الإداري لقائممقام النجف شاكر حميد المرقم س / ٢٨ في ١٢شباط ١٩٣٤، الملفة السابقة ، ص٥ من التقرير .

٥٥- صدر قانون الإصلاح الزراعي في ٣٠ أيلول ١٩٥٨، الذي حدد الحد الأعلى لملكية الأراضي الزراعة بـ ١٠٠٠ دونم من الأراضي السيحية و ٢٠٠٠ دونم في الأراضي الديمية ، ويتم مصادرة ما زاد على ذلك لغرض توزيعه على الفلاحين .

٥٦- صدر هذا القانون في ٩ كانون الاول ١٩٥٩ ومنع بموجبه الزواج بأكثر من زوجة إلا بإذن القاضي ، و تم مساواة المرأة بالرجل في الميراث ، لذلك أثار معارضة واسعة له ، وقد تم تعديل هذا القانون في ١٨ آذار ١٩٦٣ بما يتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية .

-٥٧- أصدرت الحكومة العراقية خمسة قرارات ضمن خطتها للتحول الاشتراكي ، قضت بتأميم بعض الشركات والمنشات والبنوك والمصارف التجارية وتنظيم مجالس إدارة الصناعات وإنشاء مؤسسة اقتصادية لتطبيق الاقتصاد الاشتراكي والإشراف عليه . للمزيد من المعلومات انظر : جعفر عباس حميدي ، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ، (بغداد : بيت الحكمة ، ٢٠٠٤) ، ج٧ ، ص ص ٢١٥ - ٢٤٢ .

٥٨-أ . و. د . تقرير الدور الإداري للقائممقام شاكر حميد ، المصدر السابق ، ص ٧ من التقرير .

٥٩-انظر: جعفر الخليلي ، هكذا عرفتهم ، ج١، ص ٢١٣ ، ص ٢١٦ فيما يخص عطية ابو كلل ، و بكلو الحبيب .

٦٠- انقسمت النجف في معركة الإصلاح هذه على شطرين ، خصوصا بعد صدور الفتاوي المتعارضة في التحليل والتحريم بالقضية نفسها، وهي قضية ما طرأ على ممارسات عاشوراء في طقوس ومحدثات باسم الحزن على الحسين(ع) لم تكن موجودة كالتطبير والضرب بالزنجيل واللطم وإخراج مواكب الشبيه ... ، فقد افتى السيد محسن الأمين ، والسيد ابو الحسن الأصفهاني بحرمتها . في حين أفتى الميرزا حسين النايني ، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بحليتها وتجويزها ، وسخروا المنابر لتهيج العامة ضد المعارضين لهم . فتوسعت دائرة المؤيدين ، وتلقي العامة من الناس ذلك بالارتياح بسبب شيوع الجهل ، والانقياد العاطفي ، والميل الى كل ما هو سائد في المجتمع او الى كل تيار قوي جارف ، فضلا عن تأثيرات الدعاية والإرهاب الذي مورس ضد الإصلاحيين المخالفين الذين اطلق عليهم لقب " الأمويين " من قبل المؤيدين الذين أطلقوا على أنفسهم لقب " العلويين " . للتفاصيل انظر : المصدر نفسه ج١، ص ص ٢٠٧- ٢١٢ .

٦١-أ . و. د . تقرير السري لدور الإداري للقائممقام شاكر حميد ، المصدر السابق ، ص١٠ من التقرير .

٦٢-المصدر نفسه ، ص١١ من التقرير .

٦٣- جريدة الهاتف ، العدد / ٣٥٤ ، في ١٢ مايس ١٩٤٤.

٦٤- تم تأسيس غرفة تجارة النجف بناء على الطلب المقدم من مجموعة من تجار النجف الى وزارة الاقتصاد . وبعد موافقة الوزارة تم عقد مؤتمر تأسيسي للغرفة في نادي/ الغري في النجف بتأريخ ٥ شباط ١٩٥٠ لانتخاب أول مجلس لإدارة الغرفة . وقد حضر هذا المؤتمر ١١٨ تاجراً وجرى الانتخاب بالتصويت السري بحضور متصرف اللواء عبد الرسول الخالصي وبعد فرز الأصوات فاز بأول مجلس إدارة لغرفة تجارة النجف كل من :- (السيد ازهر عيسى خلف ، الحاج عبد الله الصراف ، الحاج عبود شلاش ، السيد عطية السيد سلمان، الحاج محمد رشاد عجينة ، السيد علي الحبوبي ، الحاج محمد رؤوف شلاش ، السيد شبر السيد موسى ، الحاج رضا الصحاف ، الحاج علي السكافي ، الحاج حسن عجينة ، الحاج محمد مرزة)

ثم جرى انتخاب رئاسة مجلس الإدارة ففاز كل من:

الحاج رؤوف شلاش	الرئيس الأول
الحاج عبد الله الصراف	الرئيس الثاني
السيد ازهر عيسى الخلف	السكرتير

أرشيف غرفة تجارة النجف ، سجل المحاضر والاجتماعات رقم (١) ، محضر انتخاب مجلس الإدارة ، ومحضر انتخاب ديوان الرئاسة ، ورقة ١ و ٢ . للمزيد من المعلومات عن غرفة تجارة النجف أنظر كتابنا : غرفة تجارة النجف ، دراسة تاريخية اقتصادية وثائقية .

٦٥- أ . و. د . التقرير السري للدور الإداري لمتصرف لواء كربلاء عبد الرسول الخالصي المرقم س/١٣٩ في ١٣ حزيران ١٩٥٠، الملفة السابقة ، ص١ من التقرير .

٦٦- M . I . ٥٧ " The Tribes of Karbala Liwa ", File No . K , P / ١٦

التقرير العمومي النصف شهري لمتصرف لواء كربلاء عبد

العزيز القصاب للفترة ١٦ - ٣١ آب ١٩٢٢ المرقم ٨٠٥٠ في ٦ آب ١٩٢٢ .

٦٧- أ. و. د . التقرير السري للدور الإداري لمتصرف اللواء جلال بابان المرقم س/ ٨٠ في ١٩ نيسان ١٩٣١ ، ملفه " تقارير الدور الإداري - لواء كربلاء " المرقمة ٥٩ / K - ٢ ، ص ٣ من التقرير .

٦٨- أ. و. د. التقرير السري للدور الإداري لقائممقام النجف جعفر حمندي المرقم س / ١٣٢ في ٦ اب ١٩٣٣ ، الملفة نفسها ص ٦ من التقرير .

٦٩- أ. و. د . التقرير السري للدور الإداري لمتصرف لواء كربلاء محمود الأديب المرقم س/ ١٢٤ في ٢٧ تموز ١٩٣٣ ، الملفة نفسها ، ص ٦- ٧ من التقرير .

٧٠-) د . ك . و. الداخلية ، ملفه " تفتيش النجف ١٩٣٦ " المرقمة ٨٤١٨ ، تقرير التفتيش الإداري لرئاسة المنطقة الرابعة لقضاء النجف المرقم ١١٩ في ٣١ اب ١٩٣٦ ، و ١٢ ص ٦٧ .

٧١- المملكة العراقية ، وزارة الشؤون الاجتماعية ، مديرية النفوس العامة ، المجموعة الإحصائية لتسجيل ١٩٥٧ ، (بغداد : مطبعة المعارف) ، ص ٧٤١. نقلاً عن المظفر ، مدينة النجف ، ص ١١٧ .

٧٢-الجمهورية العراقية / وزارة التخطيط / الجهاز المركزي للإحصاء ، نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٦٥ ، (بغداد : مطبعة الجهاز المركزي للإحصاء ، ١٩٧٣) ، ص ٧٤٩ . نقلاً عن المظفر ، مدينة النجف ، ص ١١٧ .

٧٣- The Tribes of Karbala Liwa File No . I . M . ٥٧ / P, K ٢ .

كتاب إدارة متصرفية لواء كربلاء المرقم ٥٠٣٠ في ١٥ تموز ١٩٢٢ .

٧٤- أ . و. د . التقرير السري للدور الإداري لمتصرف لواء كربلاء جلال بابان المرقم س/ ٨٠ في ١٩ نيسان ١٩٣١ ، ملفه " تقارير الدور الإداري - لواء كربلاء " المرقمة ٥٩ K-٢ ، ص ٤ من التقرير .

٧٥- أ . و. د . التقرير السري للدور الإداري لقائممقام النجف جعفر حمندي المرقم س / ١٣٢ في ٦ آب ١٩٣٣ ، الملفة نفسها ، ص ٦ من التقرير .

٧٦- أ . و. د. التقرير السري للدور الإداري لمتصرف لواء كربلاء محمود الأديب المرقم س/ ١٢٤ في ٢٧ تموز ١٩٣٣ ، الملفة نفسها ، ص ص ٦- ٧ من التقرير.

٧٧-أ . و. د. التقرير السري للمفتش الإداري للمنطقة الرابعة المرقم / ١٥٢ في ٤ تموز ١٩٣٤ ، ملفه " تقارير التفتيش الإداري - لواء كربلاء " المرقمة ٣٠ / K B / ٣ .

٧٨ (٧٨) أ . و. د . كتاب مديرية النفوس العامة / الإحصاء المرقم ١٤٠٠ في ١٣ آذار ١٩٤٨ ، ملفه " إحصاء النفوس في لواء كربلاء " المرقمة ١ / ١١ .

٧٩- الجمهورية العراقية / وزارة الداخلية / مديرية النفوس العامة ، المجموعة الإحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧ ، م٢ ، ج١٠ ، لواء كربلاء ، الجدول الحادي والعشرون ، ص ٢ .

٨٠- الجمهورية العراقية / وزارة التخطيط / دائرة الإحصاء المركزية ، المجموعة الإحصائية السنوية العامة ١٩٦٦ ، جدول رقم ٢٥ ، ص ٤٣ .